الفصل الأول

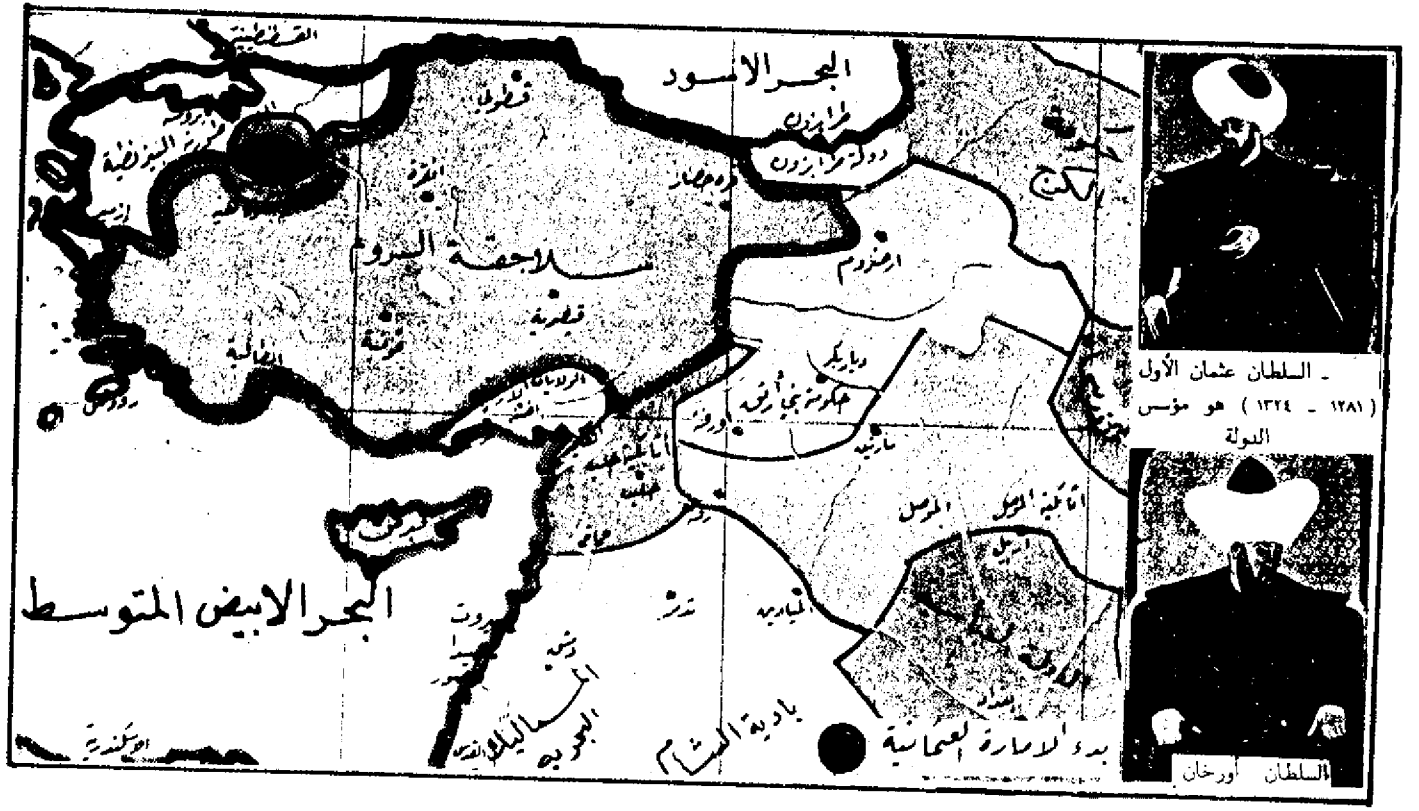

ـ السلطان عثمان الأول (١٢٨١ ـ ١٣٢٤) هو مؤسس الدولة

الأتراك العثمانيون من الإمارة إلى الدولة العليّة
الفتوحات العثمانية وانتشار الاسلام في البلقان

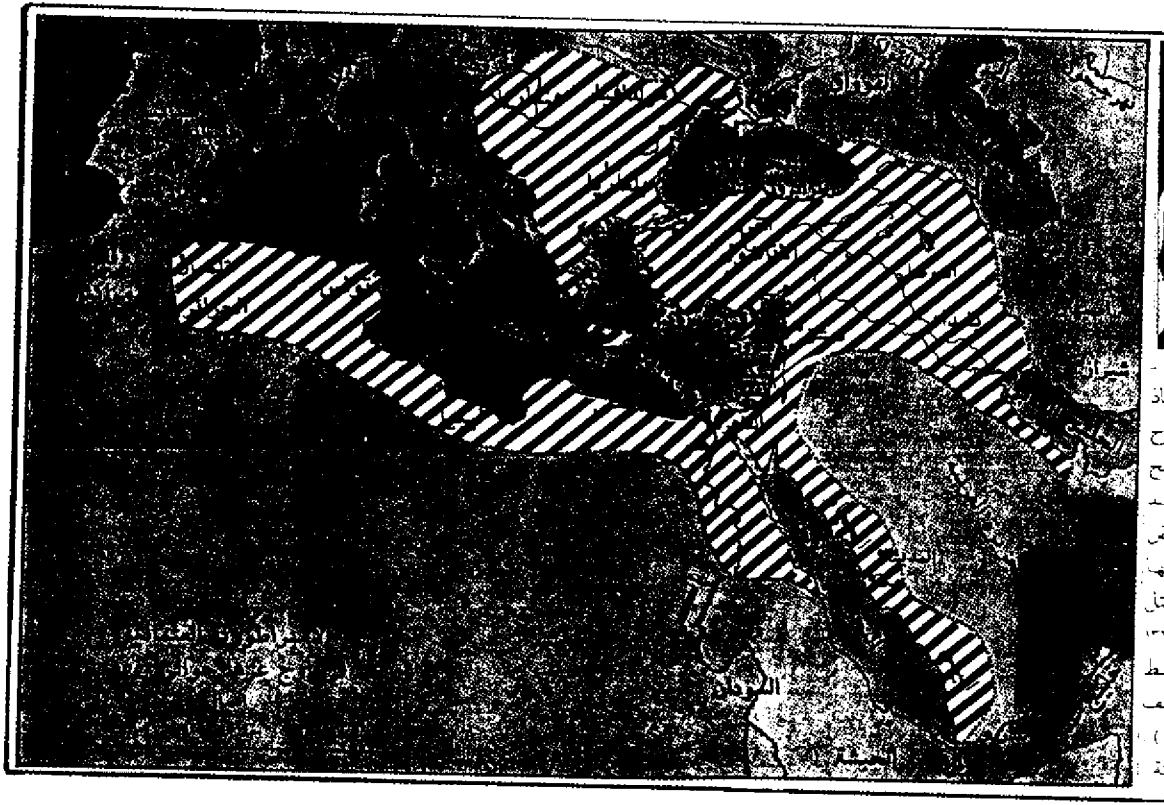

- مراد الأول (١٣٥٩ - ١٣٨٩) الذي يعود اليه اتخاذ غاليبولي نقطة انطلاق للفتوح في أوروبا وهو الذي فتح تراقيا واحتل ادرنه . وقد قبل مراد خضوع بعض الامارات الاوروبية ودفعها الجزية . دون أن يحتل بلادها . وبينه من سنة ١٣٧٠ احتل مراد مقدونيا ووسط بلغاريا وانتصر على تحالف البلقاني في كوسوفو (١٣٨٩) وقد قتل هو في هذه المعركة .

الأتراك العثمانيون

أصلهم:

الأتراك شعب من الشعوب الاسلامية، ملأ التاريخ أحداثاً، ومرت عليه الغالبية العظمى من مظاهر الحضارات (خيرها) وشرها، من البداوة الى الأمبراطورية[١]

المشهور أن الأتراك منشؤهم الأصلي جبال «الألطاي» - شمال أواسط آسيا - (توزعوافي كثير من بقاع آسيا) ثم جاؤوا إلى أوروبا زمرا في طلب الرزق والغزو قبل الميلاد. جاء ذكرهم في سفارة من امبراطور القسطنطينية سنة (٥٦٩)م، إلى الخان الأعظم في الالطاي. ويُعرفون في غربي (تركستان)[٢] بالتركمان، وفي آسيا الصغرى (بالعثمانيين) نسبة إلى جدهم عثمان.

---

(١) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية/ كارل بروكلمان Brockelman karl تعريب: منير بعلبكي ونبيه فارس، ط ١- دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٤٩ - (جـ ٣ ص٢٥)

(٢) تركستان: منطقة واسعة في آسيا الوسطى.. بين سيبيريا وبحر قزوين، وتشمل جمهوريات: أوزبكستان، قرغيزيا، كازاخستان، تركمستان، وطاجاكستان، وتمتد إلى أقليم (سين كيانغ) الصيني - (المنجد في الأعلام) - دار المشرق - بيروت ط ١٦، ١٩٨٨ م، (ص ١٧٠)

... المصادر تُرجع نسبهم إلى المغول الذين توزعوا في بقاع كثيرة، ويبلغ عددهم في العالم كله نحو (٥٩٦) مليون نسمة، ومنهم المغول التتر، وهؤلاء يقسمون إلى قسمين: المغول الأصليّون، والمغول الأتراك[٣] ـ الذين سنتكلم عنهم ـ

هجرة القبائل التركية:

عندما ضعفت الدولة العباسية بانقسامها وتجزئتها (في القرن الخامس الهجري) استطاع الروم البيزنطيون أن يدحروا المسلمين وأن يجتاحوا أرضاً واسعة، امتدت من (طَرَسوس)[٤] حتى جنوبي مدينة (باكو)[٥] على بحر

---

(٣) انظر: طبقات الأمم والسلائل البشرية،/ جرجي زيدان، دار التراث، بيروت ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م (ص ٣٥)

(٤) طَرَسوس: مدينة جنوب شرق قونية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، جنوبي تركيا اليوم، وفي (مراصد الاطلاع) جـ٢ ص ٨٨٣، مدينة بثغور الشام وبها قبر المأمون.

(٥) باكوbakou: تعرف عند جغرافيي العرب باسم باكوية وهي أهم الثغور على بحر قزوين، وأهلها يفسرون معناها «مهب الريح» .. في عام ١٨٠٦م (١٢٢١هـ) احتلهاالقائد الروسي «بلغاكوف bulgakov» وسلمت المدينة من غير مقاومة، ففرّ أميرها «حسين قلي خان» إلى فارس، وألحقت بالأمبراطورية الروسية (ثم الاتحاد السوفياتي السابق) وعندما تفكك هذا الاتحاد استقلت البلاد وهي جمهورية «أذربيجان» التي عاصمتها «باكو» وهي مرفأ هام عدد سكانها (أكثر من مليوني نسمة)،وباكو هي المدينة الزاهية، ذات الألوان الكثيرة .. انها مدينة أثرية تاريخية يعود تأسيسهاالى القرن التاسع الميلادي (الرابع الهجري) في عهد الدولة الساسانية. يبلغ نسبة المسلمين في أذربيجان (٨٧٪) من السكان .. البالغ عددهم (ستة ملايين).
انظر: د.المعارف الاسلامية، تعريب: خورشيد، يونس، الشينتناوي ـ دار المعرفة بيروت ـ لبنان ١٩٧٠م (٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).
وانظر أيضاً: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية/ محمود شاكر ـ المكتب الاسلامي، بيروت ـ دمشق ط٢ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م (ص ٩٣). =

(قزوين) الخزر.. وبالوقت نفسه كانت جموع من الترك (الطوغوز) تتجه من سهوب تركستان نحو الجنوب الغربي، وتجتاز ماوراء النهر وتعتنق الاسلام. ثم تدخل بلاد إيران وتصل إلى الجزيرة والشّام ومنها تنتقل إلى الأناضول[٦] لتجابه البيزنطيين وهم في عنفوان انتصاراتهم فتهزمهم في معركة (ملاذكرد)[٧] الشهيرة عام ٤٦٤هـ (١٠٧٢م)، وتدحرهم من آسيا الصغرى كلها، ويصبح هؤلاء الأتراك سادة جنوب غرب آسيا جميعاً (وهؤلاء) هم (السلاجقة)[٨]، وإذا استطاع الروم أن يستعيدوا المناطق الساحلية، إلا أن السلاجقة قد توطدت أقدامهم في الداخل، وكانت مدينة (قونية)[٩] مركزهم

= وانظر أيضاً:مجلة المجلة السعودية. العدد (٦٩٢) ١٤١٤هـ ١٩٩٣م (ص ٨).

(٦) الأناضول: (آسيا الصغرى) تشمل شبه الجزيرة الواقعة غرب آسيا. يحدها شمالاً البحر الأسود وبحر مرمرة في الشمال الغربي، وغرباً بحر الأرخبيل (ايجه)، وجنوبا البحر الأبيض المتوسط، وشرقا، كردستان وارمينية. د. معارف القرن العشرين. محمد فريد وجدي/ دار المعرفة - بيروت لبنان ط ٣ ، ١٩٧٣م (١/ ٣٧٧).

(٧) ملاذكرد: ملاذكرت، أو مانزيكرت MALAZGIRT: كما يعرفها الغربيون ومؤرخوهم - موقع في أرمينيا الأولى، عند أعالي الفرات، وبها وقعت المعركة الحاسمة بين القائد السلجوقي «الب رسلان»، وبين القائد البيزنطي «رومانوس الرابع ديوجينس» وهي المعركة التي انتهت بانتصار المسلمين (التركمان السلاجقة)، وتقع ملاذكرد - اليوم - على بعد ٤٠ كم شمال بحيرة «وان» شرقي تركيا.
انظر: الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية: بسام العسلي/ دار النفائس/ بيروت ط٢- ١٩٨٣م (ص ١٩).

(٨) السلاجقة: هم الأتراك الطوغوز الذين حملوا اسم السلاجقة نسبة إلى جدهم (سلجوق)، وأول حكامهم (طغرل) وهو عم (الب رسلان).

(٩) قونية: من أعظم مدن المسلمين بالروم، وبها.. سكنى ملوكها - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع/ صفي الدين البغدادي المتوفي سنة ٧٣٩هـ، تحقيق وتعليق على محمد البجاوي (٣أجزاء)، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان ط١ ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م، (ج٣، ص ١١٣٤).وهي مدينة في وسط تركيا، =

كما جاءتهم قبائل تركية أخرى قادمة من الشرق.[١٠]

الهجوم المغولي الشرس:

قام المغول من الشرق يتجهون نحو الغرب يدمرون أمامهم كل مايجدون، ويفتكون بالناس على اختلافهم، وإن كان حقدهم منصباً على المسلمين، إلا أنه لم ينج منهم أحد، لذا بدأت تفر من أمامهم القبائل كلها، مسلمة ووثنية، وكانت القبائل أغلبها من (التركمان) ووصلت في فرارها غرباً الى الأناضول[١١]. وأقامت في تلك المناطق أمكنة لسكناها. وهذا ماجعل الأتراك يزداد عددهم في الأناضول.

العثمانيون: من الأمارة الى الدولة العلية:

وهم فصيلة من الأتراك سُمّوا بهذا الاسم نسبة إلى (عثمان[١٢] بن أرطغرل

= سكانها نحو (١٢٥,٠٠٠) نسمة وهي «ايقونيم» القديمة عاصمة سلطنة الروم السلجوقية عام ١٠٨١ ـ١٣٠٢م (٤٧٤/٤٧٥ ـ٧٠١هـ)، عندها هزم«ابراهيم باشا»(المصري) عام ١٨٣٢م (١٢٤٧/١٢٤٨هـ) الجيش العثماني، فيها آثار قديمة.
انظر: الموسوعة الموجزة/ حسّان بدر الدين الكاتب، (ج ٢١، حرف القاف، ص١٣٦)، دمشق، ١٩٨٤ ط١/ مطابع الألف باء.

(١٠) انظر: تركية/ محمود شاكر. مؤسسة الرسالة بيروت، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م (ص ٣٦ ـ ٣٨).

(١١) المصدر السابق (ص ٣٩)

(١٢) عثمان: هو السلطان الأول الغازي مؤسس السلطنة العثمانية، ولد سنة (٦٩٩هـ وتوفي ٧٢٦هـ = ١٣٩٩ ـ ١٣٢٦م)، وكان عثمان صادق الولاء لعلاء الدين السلجوقي، يحارب أعداءه وينتصر له. وكان على صرامته، عادلاً، حكيماً، حازماً، وقبل وفاته بعث الى ابنه يوصيه بالجهاد والعدل وحفظ الشرع، كانت تركته: قفطان وعمامة وأشياء بسيطة..(لزيادة المعرفة أنظر: موسوعة التاريخ الاسلامي ـ العهد العثماني ـ م ٨ ص ٦٠/ أحمد شلبي ط ١١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية (١٩٨٣م).

بن سليمان شاه) وكان سليمان شاه سلطاناً في بلاد ماهان قرب (بَلْخ)[١٣] ولما ظهر (جنكيز خان)[١٤] التتري، وخرّب بلاد بلخ، سنة ٦١٧هـ، ارتحل سليمان وعشيرته إلى جهة بلاد الروم، فغرق في نهر الفرات عند عبوره به، وعاد ابنه (أرطغرل) وأقام في جهات (أرضروم)[١٥]، وكان ينجد علاء الدين السلجوقي سلطان قونية في حروبه، فكافأه باقطاعه إياه عدة أعمال ومدن، ثم توفي أرطغرل[١٦] سنة(٦٨٧هـ - ١٢٨٨ م)، بعد وفاته عين السلطان علاء الدين السلجوقي، أكبر أولاد (أرطغرل) مكانه وهو (عثمان) مؤسس الدولة

(١٣) بَلْخ: مدينة قديمة مشهورة بخرسان، من أجلّها وأشهرها ذكرا، وأكثرها خيرا، تقع اليوم في بلاد الأفغان، غربي «مزار شريف» يسكنها الآن حوالي (١٠,٠٠٠) نسمة، من المدن التاريخية الهامة على ملتقى خطوط القوافل التجارية بين ايران والهند، سوق مشهورة لتجارة الحرير بين الصين وبلاد الغرب .. دخلها الاسلام في القرن الأول الهجري، فغدت عاصمة خُراسان ومن مراكز الثقافة الاسلامية المزدهرة .. خرّبها جنكيز خان عام ١٢٢٠م (٦١٧هـ).. اليها ينتسب البرامكة وعلماء كثيرون. تُعرف اليوم باسم «وزير آباد» ولكن الاقليم يعرف باسمها الأول (بلخ) قال الشاعر:

هوائي ورائي والمسيرُ خِلافَهُ فقلبي الى كَرْخٍ ووجهي الى بَلْخِ

انظر: المنجد في الاعلام ط ١٦ (ص ١٣٤)- وانظر أيضا: تركيه لمحمود شاكر،(ص ٣٠)، وأيضا: مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (٢١٧/١).

(١٤) جنكيز خان: (٥٦٣ - ٦٢٤هـ = ١١٦٧ - ١٢٢٧م) أنشأ الأمبراطورية المغولية واخضع جميع الدول بين الصين والبحر الأسود، اسمه الأصلي (تيموجين شوكي)، اشتهر من سلالته هولاكو وتيمورلنك. (المنجد في الأعلام ط ١٦، ص ٢٠٥).

(١٥) أرضروم: مدينة في شمال شرق تركيا اليوم.

(١٦) أرطغرل: هو أبو السلطان «عثمان» مؤسس الدولة العثمانية. كان مقره مع قبيلته في آسيا الغربية، ثم نزح إلى آسيا الصغرى بناء على دعوة الأمير «علاء الدين السلجوقي».. ساعد أرطغرل الأمير السلجوقي ملك «قونية» فكبر في نظره وصار يعتمد عليه في حروبه كلّها .. حتى توفي سنة ٦٨٧هـ ١٢٨٨م، فولى الأمير «علاء الدين» ابنه «عثمان» مكانه، وعثمان هو مؤسس الدولة العثمانية. د.معارف القرن العشرين (١٩٨/١).

العلية العثمانية[١٧] الذي خلف والده على زعامة القبيلة وكان الرعي، المهنة التي يزاولها ولما عاشوا في بيئة إسلامية، دخلوا في الاسلام، ولم يكن تحت إمرة عثمان وقتذاك سوى ٤٠٠ فارس، ومع ذلك استطاع فتح مدينة (قره حصار)[١٨] واتخذها قاعدة له. وبعد مداهمة المغول للسلاجقة عام (٦٩٩هـ) أعلن عثمان استقلاله بما تحت يده من الأرض.

وعثمان أول الذين اعتنقوا الاسلام في هذه القبيلة.[١٩]

الإمارة العثمانية:

الفترة الأولى من تاريخ هذه الأمارة الصغيرة، غامضة تحوطها الأساطير. وهذا يرجع إلى أن الأمارة - أية أمارة - لاتثير انتباه المؤرخين والكتّاب، ورجال السياسة إلا اذا أثبتت وجودها في المعترك الدولي بشكل يلفت الأنظار..

كان أرطغرل - أبو عثمان - رئيس قبيلة صغيرة عرفت باسم (قايي) وفدت على الأناضول في عهد السلطان السلجوقي علاء الدين.

(وبعد اسلام عثمان أسلمت قبيلته كلها، وعندما وفدت هذه القبيلة على الأناضول، كان تركياً وإسلامياً أيضاً، وكانت فرصة قبيلة (قايي) للقدوم إلى الأناضول وتكوين أمارة صغيرة، مجاهدة في سبيل الإسلام)[٢٠]

تولى أمر هذه الإمارة الصغيرة بعد مؤسسها عثمان، ابنه (أورخان)[٢١]،

---

(١٧) تاريخ دول الاسلام/ رزق الله منقريوس الصرفي - ط١، الدرا العالمية، بيروت ١٩٨٦م (م ٣، ص ٩٦ - ٩٧).

(١٨) قره حصار: مدينة في غرب تركيا، اليوم، بين عمورية وازمير.

(١٩) انظر تركية: (ص ٤١ - ٤٣)

(٢٠) - انظر: تاريخ الشعوب الاسلامية (ص ٢٨ - ٣٠م).

(٢١) أورخان: مؤسس الدولة العثمانية، خلف أبيه سنة (١٣٢٦ - ١٣٥٩م)، بسط سيادته على آسيا الصغرى وهزم البيزنطيين (منجد الأعلام ط ١٦، ص ٨٢).

وكان رجلاً على جانب عظيم من الحكمة والنشاط، سواء في عهد أبيه، أو بعد أن تولى هو الحكم، فهو الذي فتح (بروسة) عام (٧٢٧هـ - ١٣٢٦م)، وجعلها عاصمة له، وهو أول من عبر المضيق إلى (غاليبولي)[٢٢] لتصبح قاعدة التوسع إلى البلقان.

التوسع العثماني:

تابع العثمانيون توسعهم واستولوا على (سالونيك)[٢٣]. كان هذا النمو في الدولة العثمانية سبباً في قيام تحالف جديد من القوى المسيحية البلقانية لصد الغزو العثماني وأحرزت التحالفات البلقانية النصر في الجولات الأولى، لكن (مراد الأول) في النهاية خاض ضد أعدائه معركة (قوصوه)[٢٤] الكبرى في (٢٦/٢٥ جمادى الثانية عام ٧٩١هـ و ١٥ حزيران ١٣٨٩ م) سقط فيها (مراد الأول) شهيداً، وأسر ملك الصرب، ثم أعدمه (بايزيد الأول) الذي تولى الأمارة بعد أبيه - وأصبح وجهاً لوجه مع أكبر الشعوب البلقانية عداء للعثمانيين : البلغار، والمجر. وكان ملوك أوروبا يدركون أن الطريق أمام العثمانيين إلى قلب أوروبا مفتوحة لونزلت هزيمة كبيرة بالمجر[٢٥].

معركة كوسوفا (قوصوَه) بوليه KOSOVA :

جرت معركة كوسوفا بين الجيش العثماني الذي قاده السلطان «مراد

---

(٢٢) غاليبولي: هي المنطقة التي تقع في أوروبا من تركيا غربي الدردنيل.

(٢٣) سالونيك: ميناء يوناني عظيم تعد الآن المدينة الثانية في اليونان وتقع في شماله على بحر ايجة.

(٢٤) قوصَوَه: كوسوفا الآن، وهي اقليم ذو حكم ذاتي ضمن جمهورية صربيا، ٩٥٪ من سكانه من الألبان المسلمين، عاصمة الأقليم (بريشتينا)، يعد سكانه ٣ ملايين نسمة تقريباً، ويطالب الآن بالاستقلال عن صربيا.

(٢٥) انظر: تاريخ الشعوب الاسلامية (ص٢٨ - ٣٠).

الأول بنفسه، وبين الجيش الصربي بقيادة الملك «لازار LAZAR» وتم اللقاء في ميدان كوسوفا أي (الطيور السود)، ودارت معركة عنيفة، تنازع الجيشان فيها راية النصر أكثر من مرّة، وبقيت الحرب سجالا مدة من الزمن، وأخيرا فرّ القائد الصربي «فول برانكوفيتش F.BRANKVEC» وهو صهر الملك لازار وانضم إلى جيش المسلمين ومعه (عشرة الآف) جندي، وكانت نتيجة المعركة التي هزّت أوروبا بكاملها وقُتل ملك الصربيين «لازار» وانهزم جيشه هزيمة منكرة انتهت على أثرها دولة الصرب في العصور الوسطى وألحقت أقاليمها بالدولة العثمانية بعد النصر النهائي والحاسم للمعركة التي قضى فيها السلطان «مرادالأول» شهيدا حيث اغتاله أحد الجنود الصرب أثناء تفقد السلطان للقتلى والجرحى فقام جندي صربي وطعن السلطان بخنجره فقضى عليه، وفي رواية أخرى أن قائد الصرب اغتال السلطان بخدعة جيشه حين أفهمه أنه جاء مستسلما ليوقّع شروط السلطان ويعترف بوجوب طاعته، فلما اقترب من السلطان طعنه على حين غفلة من الحراس [٢٦]. (وسواء صحت الرواية الأولى أم الثانية فالنتيجة واحدة، فالملك الصربي والسلطان العثماني قضيا في المعركة وكانت سببا لكل المواجهات والإعتداءات الصربية حتى الآن).

تبرير الصرب لهزيمتهم في كوسوفا:

بعد هزيمة الصرب في كوسوفا، بدلا من أن ينظروا في أسباب الهزيمة الحقيقة وفي أخطائهم، راحوا يكيلون التهم للإسلام والمسلمين ويدّعون أنهم سبب هزيمتهم، ونشّأوا أبناءهم على كراهية الإسلام والمسلمين والحقد على أهل البوسنة المسلمين، ويعتبرون أن أهل البوسنة جنود العثمانيين

---

(٢٦) انظر: فن الحرب الاسلامي - العهد العثماني -/ بسّام العسلي - دار الفكر دمشق ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م (٥/٦١ - ٦٢).وايضا: تاريخ الشعوب الاسلامية (ص٣٢)

الذين ذهبوا من مئات السنين.

وهذا منتهى الحقد والضلال والافتراء، فقد كان أهل البوسنة معهم يحاربون العثمانيين في معركة «كوسوفا» جنبا إلى جنب مع الجيش الصربي، حيث كان الجميع يخشى الخطر العثماني الكاسح للمنطقة بأكملها، ولكنه الحقد الدفين الذي ورّثه الصرب لأبنائهم حتى أنهم اليوم ينتقمون لهزيمتهم في «كوسوفا» ويحاولون إرجاع مملكتهم الدنيوية الغابرة التي فقدوها آنذاك، يوم قالوا: إن ملكهم فضّل المملكة السماوية على الدنيوية، وهم الآن بمساعدة الغرب المسيحي المتواطىء معهم يريدون إقامة صربيا العظمى في المنطقة بأكملها... فيرتكبون أبشع الجرائم ضد المسلمين الذين أحسنوا جوارهم طيلة خمسة قرون .. [٢٧]

ولهذا كانت الدعوة إلى حملة صليبية جديدة صادرة عن ملك المجر (سجسموند) ذات صدى قوي بالنسبة للدعوات السابقة عليها، وشدّ أزرها البابا في روما، وقدّم ملوك فرنسا وانكلترا والبندقية، مساعدات عسكرية لملك المجر.

وفي ٢٧ أيلول ١٣٩٦م دارت موقعة (نيقية)[٢٨] التي أحرز فيها بايزيد الأول[٢٩] الانتصار الذي جعل من الدولة العثمانية حقيقة كبرى في البلقان،

---

(٢٧) انظر: الاندلس الثانية: زكريا علي أفسكي وياسمين كانتا روفيتش، لجنة العالم الاسلامي الكويت، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م (ص٢٢ ـ ٢٣)

(٢٨) نيقية NIKAIA: هي من أعمال استانبول على البر الشرقي، اجتمع بها النصارى الثلاثمائة والثمانية عشر، وهو أول مجمع لملّتهم (مجمع مسكوني).. ولهم فيها اعتقاد عظيم. (مراصد الاطلاع ٣/١٤١٢)
وفي المنجد للأعلام: مدينة قديمة في آسيا الصغرى هي اليوم «ازنيق» في تركيا على بحيرة «ازنيق» عقد فيها مجمعان مسكونيان .. ، عاصمة الامبراطورية البيزنطية ١٢٠٤ ـ ١٢٦١م (٦٠٠ ـ ٦٥٩هـ). أسوار رومانية وبيزنطية، ومسجد من القرن الرابع عشر .. (المنجد في الأعلام ط ١٦ ص ٥٨٤).

إذ أصبحت بلاد البلغار واليونان والبلقان الشمالي تحت السيطرة العثمانية.

تيمورلنك وبايزيد:

(في نفس السنة التي دارت فيها موقعة (نيقية) ١٢٩٦م، كان (تيمورلنك)[٣٠] قد جلس على العرش وأسس امبراطورية تمتد من سهوب آسيا وسمرقند إلى بلاد الأفغان والهند وإيران، وحتى جورجيا وأرمينيا وكردستان، فيكون بذلك قد جاور دولة المماليك في بلاد الشام ومصر والدولة العثمانية في شرق الأناضول .. واستطاع تيمورلنك أن يضرب العراق ومماليك مصر وبايزيد العثماني، كلاً على حده، فانقضّ على الشام ثم التفت إلى الدولة العثمانية)[٣١]

---

(٢٩) بايزيد الأول-bayazid-I : سلطان عثماني، يُعتبر أبرز بُناة الدولة العثمانية (٧٤٨ ـ ٨٠٥هـ) (١٣٤٧ ـ ١٤٠٣م)، غزا هنغاريا عام ٧٩٨هـ ـ ١٣٩٥م، فأدّى ذلك إلى توجيه حملة صليبية (هنغارية ـ فينيسية) ضد العثمانيين، ولكنه أنزل بالصليبيين الجُدد هزيمة منكرة في «نيقوبوليس» في العام نفسه، خاض الحرب ضد المغول فهزمه «تيمورلنك»في موقعة «أنقرة» (كان لقبه «يلدرم» أي الصاعقة). م الموورد العربية/ منير البعلبكي . دار العلم للملايين ط١ بيروت ١٩٩٠ ـ ١٩٩١م .

(٣٠) تيمورلنك أو تيمور الأعرج: (١٣٣٦ ـ ١٤٠٥م) ملك المغول، حفيد جنكيز خان وفاتح شهير اعتلى العرش (١٣٧٠م)، أخضع البلاد ـ من دلهي إلى بغداد وغزا روسيا والهند، خرب بغداد (١٣٩٢ ـ ١٤٠١م)، انتصر على بايزيد الأول في أنقرة ١٤٠٢م اتخذ سمرقند عاصمة له وجمع فيها العمال المهرة، والفنانين والعلماء من كل البلاد التي فتحها، فازدهرت فيها الفنون والعلوم. (المنجد في الأعلام ص ١٨٩) وفي كتاب (التقويم) ورد مايلي: تيمورلنك، دخل دمشق وجعل عاليها سافلها وفي العام التالي هزم السلطان بايزيد ـ كما ذكرنا قبلا ـ وأسره. التقويم/أكرم حسن العلبي ـ دار صادر، بيروت، لبنان ط١ ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م ص ٢٢٩ ،

(٣١) انظر: تاريخ الشعوب الاسلامية، (ص ٣٢)م

تحريض تيمـورلنك:

كانت القوى الأوربية الناقمة على الدولة العثمانية مستعدة لأن تمد يدها إلى أية قوة كبيرة قادرة على هزيمة هذه الدولة العثمانية الفتية، ولذلك سعت (جنوه)[٣٢] و (قشتالة)[٣٣] إلى تيمورلنك وأرسلتا له وفداً لتحريضه ضد العثمانيين، بتقديم مساعدات له علّه يخلصهما من دولة بني عثمان.

لكن تيمورلنك لم يستمع إلى رُسُلِهما بسبب تمسكه بالإسلام من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يكن هناك مايدل على أن مساعدات مجدية يمكن أن يستفيد منها. ولكن هذه الاتصالات شجعت تيمورلنك على العمل ضد العثمانيين.[٣٤]

كان العثمانيون قبل الحرب ضد تيمورلنك يتوسعون وينقلون عاصمتهم من مكان إلى آخر مقتربين بها من أرض العدو، أما في حربهم ضد تيمورلنك وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الدفاع عن دولتهم - غرب الأناضول - .

ومن هنا كانت المعركة المقبلة تضع الدولة العثمانية في موقف حرج للغاية بسبب العداوة المريرة بين القوى البلقانية المسيحية - وبينها -، وبسبب ضخامة الجيوش التي كان يقودها تيمورلنك - الذي لم يهزم من قبل .

معركة أنقرة ونتائجها:

دارت معركة أنقرة[٣٥] في (٣٠ ذو الحجة ٨٠٤هـ = ٢٠ تموز ١٤٠٢م)

---

(٣٢) جنوه: مدينة ايطالية، قامت دولة بهذا الاسم في القرن الرابع عشر الميلادي، وهي ميناء عظيم الآن.

(٣٣) قشتالة: اسم لمملكة قامت في اسبانية أيام الحكم الاسلامي في الأندلس.

(٣٤) تاريخ الشعوب الاسلامية (ص٣٨)م

(٣٥) أنقرة: هي احدى الولايات التركية في آسيا الصغرى .. على نهر سقارية، مدينة حصينة .. فيها قلعة عظيمة آثار قديمة ..(اشتهرت بالموقعة التاريخية بين =

وسقط بايزيد أسيراً في يد تيمورلنك، ومات في الأسر (٨٠٥هـ = ١٤٠٣م)، وفرّ أولاده كل في اتجاه، بينما أمعن الجيش التتري في تخريب الأناضول ومدنه. حقيقة كانت الضربة قاسية جداً للدولة العثمانية وماخفّف منها، هو أن تيمورلنك لم يرغب في الاستيلاء على الأناضول، وعاد إلى سمرقند، ليعدّ حملة على الصين، ولم يلبث أن مات في (٨٠٧ هـ = ١٤٠٥م) تاركاً الامبراطورية تواجه التفكك السريع.

...كان عدم ..إسقاط الدولة العثمانية عاملا جوهرياً في الابقاء على هذه الدولة وفي قدرتها - من بعد - على الظهور قوية رغم المتاعب الداخلية الشديدة التي ألمّت بها في أعقاب تلك الهزيمة النكراء، وكان لمعركة أنقرة نتائج هامة، لأنها حدثت بين أقوى رجلين في العالم - آنذاك -، ويذكر العالم (غروسيّه Grusset)[٣٦]، أن حوالي مليون مقاتل، اشتركوا في تلك المعركة، ومع ذلك فلم يكن حجم القوات أو شجاعتها هي التي حسمت المعركة أوربما حتى معاناة جيش بايزيد من العطش والاجهاد، وإنما يعود ذلك الى تفوّق تيمور على بايزيد في التخطيط للمعركة، كما تفوق بايزيد على الصليبيين في معركة (نيقوبولس).

إن النتيجة الرئيسة للمعركة الكبرى التي دارت في أنقرة، كانت فترة الراحة التي نعمت بها القسطنطينية لمدة خمسين عاماً بعد انتصار تيمورلنك.[٣٧]

= السلطان «بيازيد» وتيمورلنك»، وهي الان عاصمة تركيا) - د.م - القرن العشرين (١/ ٧٤١).

(٣٦) غروسيه (رينيه) Grusset (١٨٨٥ - ١٩٥٢م)، مستشرق ومؤرخ فرنسي، له كتاب «تاريخ الحروب الصليبية». انظر: المنجد في الاعلام ط ١٦(ص ٢٨٩).

(٣٧) انظر: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى /جوزيف داهموس/ ت: محمد فتحي الشاعر - الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٧م (ص ٢٠ - ٢١ و ٢٠٦).

تكوين الدولة العثمانية:

يمكن تقسيم تاريخ الأتراك في الشرق الى (أربع) فترات:

الأولى: تبدأ بتكوين الإمارة التركية العثمانية من أيام «عثمان الأول» حتى «محمد الثاني» - فاتح القسطنطينية-، وتبلغ الدولة العثمانية ذروتها عندما تتسع من فيينا الى عدن والعراق والخليج العربي، إلى حدود مراكش «المغرب»، وذلك زمن السلطانين: سليم الأول وسليمان الأول القانوني

الثانية: فترة الضعف، ابتداء من القرن السابع عشر وخلال الثامن عشر ليأتي بعدها الاصلاح.

الثالثة: عهد الاصلاح والتغيير والتنظيمات، ذلك العهد الذي ملأ القرن التاسع عشر حتى صدور دستور ١٨٧٦م

الرابعة: فترة كانت فيها نظرية الجامعة الاسلامية التي تعلق بها السلطان«عبد الحميد الثاني»، (١٨٧٦ - ١٩٠٨م)..

وقامت حركة جمعية الاتحاد والترقي ١٩٠٨م، - ضد السلطان والخلافة - ولكنها كانت حركة تركية، ذات اتجاهات قومية نادت بالطورانية وتتريك الولايات العثمانية.

قامت الحرب العالمية الأولى التي خاضتها تركيا الى جانب ألمانيا والنمسا واصابتها الهزيمة العسكرية - وتحوّلت على يد مصطفى كمال الى دولة تركية قومية حديثة (علمانية).[٣٨]

---

(٣٨) انظر: تاريخ الشعوب الاسلامية(ص٢٥).

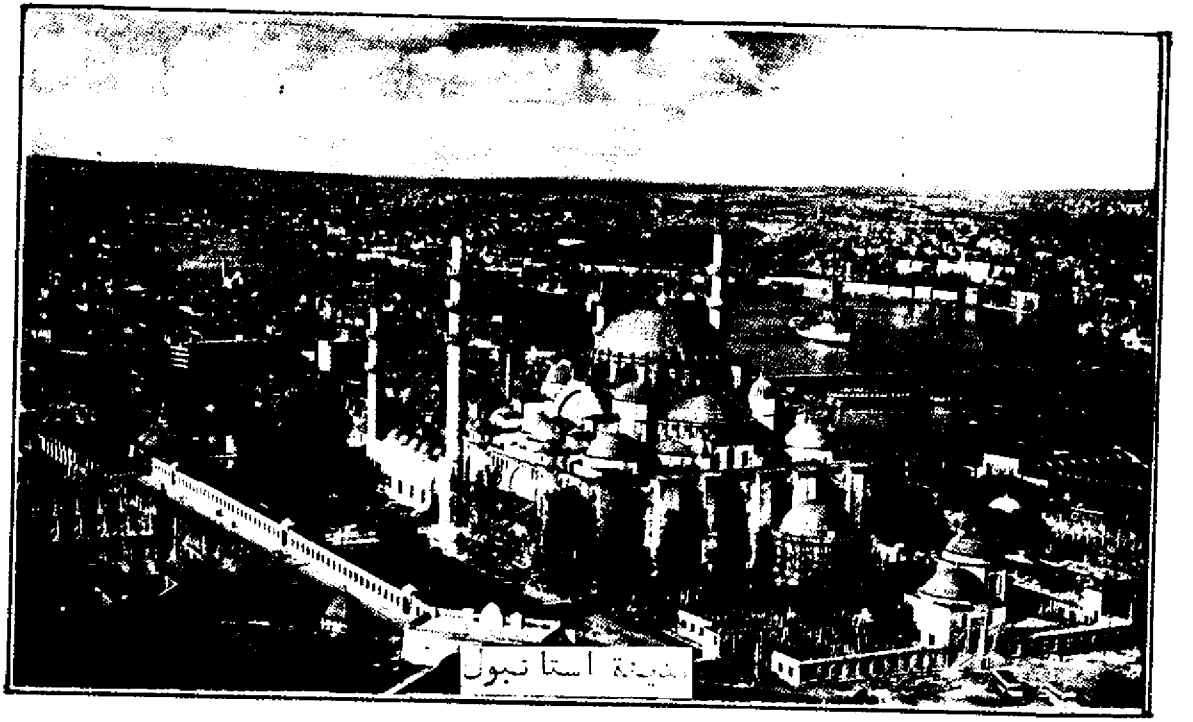
مدينة استانبول

الفتح العثماني في أوروبا

كان العثمانيون يعتبرون الفتح جهادافي سبيل الدعوة الأسلامية لجعل راية الاسلام خفاقة عالية في كل صقع ومصر وخاصة في أوروبا التي خرجت منها الحملات الصليبية الحاقدة لتعيث فسادا في أرض الاسلام في المشرق، وأن هذه الحملات والتي انتهت بزوالها من الأرض الاسلامية، الا أن الغرب بقي حقده متأججا في صدور أهله، ينتظرون سانحة أخرى ليثبوا ثانية على الاسلام وأهله، وهذا ما وعته الدولة العثمانية وما وقفت نفسها درعا في وجه أطماع الطامعين، لذلك جعلت نصب عينيهاالدفاع عن أرض الاسلام وحماية المسلمين، وبث الدعوة السمحاء ما استطاعت لذلك سبيلا ولتحقيق هذا الهدف السامي لابد من أجتياز البحر وفتح عاصمة بيزنطة «القسطنطينية» التي استعصى فتحها على قادة المسلمين الأُوَل،لأن بفتحها يكون مفتاح أوروبا قد أصبح بيد الفاتحين، فقيض الله لذلك شابا مؤمنا، ألاوهو: السلطان العثماني«محمد الثاني» ففتحها، وكان فتحها الخطوه الأولى على طريق فتح أوروبا.[٣٩]

---

(٣٩) الدولة العثمانية وعلاقاتهاالخارجية/ د. علي حسون/ ط١ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م -المكتب الاسلامي، دمشق (ص ٢٩ - ٣٠)

فتح القسطنطينيـة

(قبل عملية الهجوم على القسطنطينية) أمر «محمد الثاني» -[٤٠] الفاتح جنوده بالصيام قبل الهجوم بيوم لتطهير نفوسهم وتزكيتها،... وتفقد الأسطول..وتعالت أصوات التكبير .. ولمّا عاد الى خيمته دعا كبار رجال جيشه وأوصاهم بوصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، بتجنب الكنائس والمعابد وعدم مسّ الضعفاء والقساوسة، - فالتعاليم نفسها تُستقى من مصدر واحد - .

بدأ الهجوم واشترك الفاتح نفسه فيه، ثم فتح عاصمة الروم - بحمد الله - في: (٢٠ جمادى الأولى ٨٥٧ هـ = ٢٩ أيار ١٤٥٣م)، وكان عمْرُ الفاتح خمسة وعشرين عاما.

وبعد فتح القسطنطينية أتم الفاتح فتوحات والده، ففتح بلاد البلقان سنة

---

(٤٠) محمد الفاتح: (٨٣٢ - ٨٨٦ هـ = ١٤٢٨ - ١٤٨١م) - ان الفاتح لم يفتح القسطنطينية فقط لكنه غيّر تاريخ أوروبا أيضاً وأن ثمة اتفاقا بين المؤرخين على أن العصر الحديث يبدأ بفتح القسطنطينية .. كان الفاتح مثقفاً يعرف عددامن اللغات وهي : العربية، الفارسية، والتركية - وهو شاعر له ديوان شعر بالتركية - كما عرف أيضاً اللغات: اللاتينية، اليونانية والصربية. من صفاته الجرأة وعدم التردد، وحبه للأدب، وبفضل ذكائه استطاع أن يتوفرعلى معلومات ثمينة جداً عن عدوه .. كان الفاتح يشعر بالأهمية السياسية والدينية والتجارية لمدينة القسطنطينية، وقد وضع كل همه لتحقيق هذا النصر....وبعد هذا الفتح وهذه الحرب المقدسة، تجاوز كل الخلفاء والامراء المسلمين من قبله الذين لم يُوفّقوا - خلال صراعهم الطويل مع بيزنطة - أن يحققوا فتح القسطنطينية، وأصبح بذلك يتمتع بسلطة مطلقة ...وقد أطلق عليها رسمياً ... استانبول «مدينة الاسلام» لزيادة الايضاح انظر: مجلة العربي العدد ٢٥٠ شوال ١٣٩٩ هـ = ايلول ١٩٧٩م (ص ١٠٢ - ١٠٩)، وأيضاً انظر المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية/ العدد الاول والثاني كانون الثاني، ١٩٩٠ م - زغوان-الجمهورية التونسية، (ص٤٥ - ٤٩).

٨٨٥ هـ كما فتح صربيا، والبوسنة والهرسك[٤١] وأثينا، والمورة، وبعض الجزر اليونانية، ولكن جيوشه انهزمت أمام «اسكندربك الألباني[٤٢]». - الذي ارتدّ عن الاسلام - وظلّ يحارب العثمانيين حوالي (٣٦) سنة،وتم فتح عاصمة اسكندر بك «كرويا[٤٣]» وأصبح كامل البوسنه ولاية كباقي الولايات العثمانية.

وأكمل محمد الفاتح فتوحاته حتى وصل الى «أوترانتو» على الشاطىء الايطالي في (٤ جمادى الثانية عام ٨٥٥ هـ = ١١ آب ١٤٨٠م)، ثم فتح البغدان والأفلاق، وأكمل فتح ألبانيا، ثم توفي بعد أن استسلمت له جميع جزر

---

(٤١) البوسنة والهرسك: انظر: الفصل الرابع

(٤٢) اسكندر بك الألباني: هو «جيرج كاستريوتي» لقد اشتهرت هذه الشخصية بالاسمين، الأول مسيحي، والثاني مسلم، هو اسكندر بك، مع أن الاسم الثاني هو الشائع...
كان «جون كاستريوتيKosstrioti Gon»حاكم شمال البانيا - والد اسكندر بك - الذي اعتنق الاسلام وسمى نفسه «حمزة Hamza» وحسب التقاليد، أرسل أولاده الأربعة الى البلاط العثماني بما فيهم ابنه الأصغر «جيرج» الذي لفت الانتباه لذكائه وشجاعته مما دفع السلطان «مراد الثاني» ١٤٢١ - ١٤٥١م لرعايته بعد ان اختار له اسما جديدا هو «اسكندر» تيمنا باسكندر ذى القرنين، ونشأ اسكندر الألباني مع الأمير محمد - السلطان محمد الفاتح لاحقا - حيث اكتسب ثقافة عسكرية رفيعة وأصبح من الشخصيات المعروفة في ذلك العصر.. كان يقود المعارك لتثبيت الوجود العثماني الاسلامي ... ينتظر أن يرث أبيه.... وللفاتيكان دور كبير في استمالة اسكندر بك واقناعه بالارتداد عن الاسلام وكان البابا «أوجين الرابع ١٤٣١ - ١٤٤٧ م الذي لجأ الى الاتصال باسكندر بك، وبعد أن نجح البابا في كسبه، قام بأعمال عظيمة لصالح المسيحية التي توازى الأعمال السابقة التي قام بها لصالح الاسلام. وأعلن الحرب على الدولة العثمانية في «٢٨ تشرين الثاني ١٤٤٣م» واستدعى كل الألبانيين الذين اعتنقوا الاسلام الى مدينة «كرويا» ووضعهم أمام خيارين: الارتداد عن الاسلام أو الموت.

(٤٣) كرويا : مدينة تقع اليوم في شمال غرب ألبانيا... وهي على بحيرة «اشقودرة» وتسمى بالتركية «أقجة حصار».

الأرخبيل «اليونان» عدا جزيرة رودوس[٤٤]، ومات في (٧ربيع الآخر ٨٨٦ هـ ٣ آيار ١٤٨١م). وجرى فتح رودس بعد وفاته وذلك عام (١٥٢٢م)، وخضعت المجر للعثمانيين عام (١٥٤٣م) والجدير بالذكر أنه بموت محمد الفاتح أمر البابا بقرع أجراس الكنائس ثلاثة أيام بلياليها ابتهاجا بهذا الحادث الذي اثلج صدور النصارى.[٤٥]

كان انقلاب اسكندر بك ضربة قاصمة للعثمانيين لأنه أصبح حجر عثرة في سبيل التقدم العثماني في أوروبا، وأصبح الهدف الرئيسي للسلطان العثماني هو القضاء على اسكندر بك لكي يتفرغ لباقي الفتوحات، ولكن العثمانيين لم يفلحوا في القضاء على اسكندر بك، بل هزم جيوش السلطان واحدا إثر واحد، وقد تكررت الحملات العثمانية ضده حيث اعتصم بمدينة «كرويا» فحاصرها السلطان عدة مرات وعاد منها خائبا، الى أن توفي اسكندر بك في بداية «١٤٦٨م» ودفن في مدينة «ليجاLexe» القريبة، وبرغم وفاته بقيت عاصمته كرويا تقاوم الحصار العثماني عشر سنوات كاملة الى

---

(٤٤) رودوس RHODUS: كبرى جزر الدوديكانيز في بحر إيجة. تقع تجاه سواحل تركيا الجنوبية الغربية كانت في العصور القديمة مركزاً لعبادة «هليوس » اله الشمس عند اليونان هاجم المسلمون هذه الجزيرة منذ أول ركوبهم البحر وذلك عام (٣٤هـ) (٦٥٥/٦٥٤م) وتم لهم فتحها عام ٥٢هـ (٦٧٢م)، ولم يطل حكمهم لها أكثر من ثماني سنوات .. ثم عادوا إليها أيام الخليفة «عمر بن عبد العزيز» (ر) لمدة عام، ٩٩ ـ ١٠٠هـ (٧١٧ ـ ٧١٨/٧١٩م) .. احتلّها السلطان «سليمان القانوني» عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) واستمرت في أيدي العثمانيين أربعة قرون، .. وفقدت تركيا رودوس عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) وتقاسمت اليونان وايطاليا جزر بحر ايجه حتى انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة ايطاليا .. وتفرّدت اليونان بحكمها، ويعيش في رودوس اليوم)بضعة آلاف من المسلمين، مساحتها ١،٣٩٨كم٢ سكانها ٨٥،٠٠٠ نسمة، عاصمتها ميناء رودوس ٤٠،٠٠٠ نسمة. انظر: م . المورد العربية (٥٥/١)،وأيضا: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية، محمود شاكر المكتب الاسلامي، بيروت-دمشق ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م،(ص٢٢-٢٣).

(٤٥) ـ الأفلاق والبغدان: تشكلان القسم الأعظم من رومانيا اليوم.

سنة ١٤٧٨ م، وكانت لهذه الحرب الطويلة التي قادها اسكندر بك والتي أنهكت الأمبراطورية العثمانية لست وثلاثين سنة «١٤٤٣ ـ ١٤٧٩ م» نتائج خطيرة وبعيدة المدى فيما يتعلق بالاسلام، سواء على المستوى البلقاني أو الأوربي وحتى العالمي، فكان دور اسكندر بك في اعاقة المد الإسلامي في أوروبا دورا هاما، سواء في الشمال ـ هنغارية ـ أو في الغرب ـ ايطاليا ـ الشيء الذي لوحدث لكانت له نتائج لايمكن التنبوء بها الآن.[٤٦][٤٧]

المسلمون في البلقان[٤٨]

يتوزع المسلمون في جنوب شرق أوروبا (شبه جزيرة البلقان) في عدة دول وان كان انتشارهم قد تم في وقت واحد تقريباً في تلك البقعة من الأرض الا انه ترسّخ في بعض الجهات، وأقفرت جهات أخرى منهم لأسباب كثيرة.

واذا كان الأسلام قد انتشر في مناطق كثيرة من أوروبا الجنوبية سواء في جنوبي فرنسا أم ايطاليا، وتوغل المسلمون في مناطق داخلية حتى وصلوا الى بلاد سويسرا، وكانوا قد احتلوا جزرالبحر الأبيض المتوسط جميعها الا أن الاسلام في شبه جزيرة البلقان قد تأخر في التقدم فيها وذلك لأن الطرق المؤدية الى هذه المنطقة لم تُفتح، فقد استعصت القسطنطينية

---

(٤٦) ـ لزيادة الاطلاع انظر: العثمانيون والبلقان/ علي حسون/ المكتب الاسلامي، بيروت دمشق ط ٢ ١٩٨٦م (ص ١١٨ ـ ١٢٣).
وانظر أيضاً: مجلة العربي: العدد ٢٩٢ آذار ١٩٨٣ (ص ١٤٠ ـ ١٤٥).

(٤٧) ـ الدولة العثمانيةوعلاقاتها الخارجية (ص ٣٠)

(٤٨) ـ البلقان: BaLkan: شبه جزيرة جبلية جنوبي شرق أوروبا، يدخل فيها: ألبانيا، اليونان، جنوب شرق رومانيا، بلغاريا، تركيا الأوربية ومعظم يوغسلافيا. سابقا ـ٠/الموسوعة العربية الميسرة/ اشراف محمد شفيق غربال ـ دار القلم ومؤسسة فرانكلين، القاهرة ١٩٦٥م(ص٣٩٩ـ٤٠٠).

على الفاتحين لموقعها ومناعتها، وان ابتدأت الغزوات تطرق أبوابها منذ عام «٥٠هـ» الا أنه في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري بدأ الاسلام يتقدم في البلقان على شكل موجة واسعة بفضل العثمانيين الذين دخلوا أوروبا - عن طريق الدردنيل[٤٩]

لقد جهد المسلمون الأوائل أن يحتلوا القسطنطينية ثم ينطلقوا الى أوروبا عن طريقها أي أن مشروع فتح أوروبا كان يهدف طريق مضيق «البوسفور[٥٠]».

فعندما صمدت المدينة في وجه الفاتحين تعذر التقدم وتوقف (انتشار الاسلام) وعندما جاء العثمانيون تجاوزوا القسطنطينية ودخلوا أوروبا كما ذكرنا - عن طريق الدردنيل وكانت مدينة «غاليبولي» أول مدينة في أوروبا فتحها العثمانيون عام «٧٥٨ هـ = ١٣٥٤م». واستولى «مراد الأول[٥١]» على مدينة «ادرنة[٥٢]» عام ٧٥٨ هـ = ١٣٥٤ م، وبذلك أصبحت

---

(٤٩) - الدردنيل DARDANELLES: مضيق بين تركيا الآسيوية والاوربية يصل بحر ايجة ببحر مرمره طوله ٦١كم، أما عرضه يتراوح ما بين ١،٢كم و٦،٤كم، عَبَره الاسكندر الكبير عام ٣٣٤ق.م لمقاتلة ملك الفرس «داريوس الثالث»، حصّنه السلطان «محمد الفاتح» عام (٨٦٦هـ - ١٤٦٢م) .. اسمه القديم «هيليسبونت HELLESPONT». (م. المورد العربية ١/٤٩٢).

(٥٠) البوسفورbosphor: مضيق يصل بحر مرمرة بالبحر الأسود، ويفصل ما بين تركيا في آسيا وتركيا في أوروبا، طوله (٣٠كم)، وأقصى عرض له (٣٧) - والبوسفور يتمتع بمركز استراتيجي هام بالنسبة للدفاع عن استانبول التي تقع على طرفه الجنوبي من الناحية الأوربية.. (م المورد العربية ١/٢١٠).

(٥١) مراد الأول: ثالث الخلفاء العثمانيين «٧٢٦ - ٧٩١ هـ = ١٣٢٦ - ١٣٨٨ م» قتل في معركة « كوسوفا» وعمره ٦٥ سنة، حكم حوالي ثلاثين سنة من «٧٦١ - ٧٩١ هـ = ١٣٥٩ - ١٣٨٨م» مات وهو في أوج انتصاره، اشتهر بالكفاءة القيادية العالية، لقب نفسه «مراد خداو ندكار» اي «مراد الله». (انظر: فن الحرب الاسلامي ص ٥١) ومراد الأول قهر الأمبراطور البيزنطي «يوحنا»، وهو الذي =

الدولة العثمانية أوربية العاصمة، كما أخضع هذا السلطان منطقة «الرّوملي[٥٣]». وفتح مدينة «صوفيا» عاصمة البلغار ومعظم بلادهم، تابع ابنه «بايزيد» ذلك الفتح ...حتى وصل قرب المجر.[٥٤]

لقد أثار هذا الفتح أوروبا ولكنها لم تستطع أن تقف في وجهه...وبعد وفاة السلطان بايزيد الأول حدثت فتنة تنازع فيها أبناؤه السلطة وقد استمرت هذه الفتنة عشر سنوات، استطاع في آخرها أصغر أولاده «محمد الأول» أن ينفرد بالحكم، وقد استطاع أن يعيد بناء الدولة ويهادن أمبراطور القسطنطينية. وفي عام «٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م»، تولى أمر العثمانيين «مراد الثاني[٥٥]» الذي فتح سالونيك وألبانيا عام «٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م» وجاء محمد الثاني - الفاتح - الذي فتح القسطنطينية وكثيرا من مناطق البلقان.. وجعل الأوربيون حروبهم بعد هذه الفتوح ضد المسلمين كافة، وأثاروها حربا صليبية عامة، بعد أن كانت ضد العثمانيين خاصة[٥٦]

= أحدث الراية العثمانية - علم تركيا الآن..انظر: الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية (ص ٤٣).

(٥٢) أدرنة: مدينة تركية في القسم الأوربي، وكان قد اتخذها مراد الأول عاصمة له

(٥٣) الرّوملي Rumella: روميليا، الروم ايلي، اسم كان يطلق على جزء من الأمبراطورية العثمانية قوامه: ألبانيا، ومقدونيا، وتراقيا، وتعني بالتركية «أرض الروم» أو أرض البيزنطيين. - م. المورد العربية (١/ ٥٥٧).

(٥٤) - انظر: المسلمون تحت سيطرة الشيوعية/ محمود شاكر، المكتب الاسلامي دمشق - بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٤ م (ص ١٠٧ - ١٠٨

(٥٥) - مراد الثاني: نحو«٨٠٤ - ٨٥٤ هـ و ١٤٠١ - ١٤٥١ م» سلطان عثماني

(٥٦) - انظر: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية (ص ١٠٨)

السلطان مراد الثاني وجيوش أوروبا

كان السلطان «مراد الثاني» يرى أن القتال في أوروبا جهاد، والروح المعنوية لدى المسلمين تكون عالية ما داموا يقاتلون ضد النصارى، مجاهدين لنشر الدين الحنيف، فبدأ بقتال ملك المجر الذي عقد معه معاهدة تنازل فيها للسلطان عن أملاكه الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الدانوب الذي سيكون حداً فاصلا بين الطرفين.

أما أمير الصرب «جورج برنكوفيتش» الذي رأى أنه عاجز لمجابهة الدولة العثمانية، فعقد معاهدة مع السلطان تقضي بدفع جزية سنوية قدرها «٥٠ ألف» دوكاً ذهبياً، وأن يقدم فرقة من جنوده لمساعدة السلطان في حروبه، وأيضا يقطع علاقاته مع ملك المجر، ويتنازل عن بعض مواقعه للعثمانيين، كما تزوج السلطان ابنة «جورج برنكوفيتش»، «مارا».

وفي عام ٨٣٣ هـ ١٤٢٩ م استعاد السلطان مراد الثاني مدينة سالونيك اليونانية من البندقية، كما اعترف أمير الأفلاق بسيادة العثمانيين على بلاده عام «٨٣٦ هـ ١٤٣٢ م» وخضعت له ألبانيا بعد حروب بسيطة...

ظّن السلطان مراد الثاني أن وضعه في أوروبا قد استقر، وما بدأ يستعد لاتمام مهمته في الفتح العثماني لأوروبا، حتى عاد حكامها المتعاقدين معه على نقض العهد واعلان العصيان. وبتحريض أمير ألأفلاق وأمير الصرب من ملك المجر، ثارا ضد السلطان الذي أدّبهما، ثم سار الى ملك المجر فخرب عددا من مدنه ورجع بعدد عظيم من الأسرى.

أمّا أمير الصرب فقد هاجمه السلطان وفتح جزءا من بلاد الصرب وحاصر العاصمة «بلغراد» ستة أشهر ثم غادرها، ولكن الجيش العثماني هُزم وقُتل قائدُه مع عشرين الف من الجند، وانسحب الجيش العثماني الى ما بعد نهر الدانوب، وأرسل السلطان جيشا آخر قوامه ثمانين ألفا، غير أنه هُزم أيضاً

وأسِر قائدُه عام «٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م» أمام الجيش المجري الذي تابع سيره بعد ذلك الى بلاد الصرب فالتقى بالسلطان مراد الثاني - نفسه -، عام «٨٤٥ هـ = ١٤٤١» فنشبت بين الفريقين ثلاث معارك هُزم فيها السلطان كلها، واضطر الى توقيع معاهدة تنازل فيها السلطان عن الأفلاق للمجر، وردّ للصرب بعض المواقع، وقامت بين الطرفين هدنة مدتها عشر سنوات[٥٧]

شعر السلطان بالتعب فرأى أن يخلد الى الراحة... وسافر الى غربي الأناضول...كان البابا «اوجين الرابع[٥٨]» يراقب الأحداث - وكم سرّته هزيمة السلطان وأثارته المعاهدة التي وقعها مع المجريين وأنهت الحرب بينهما لمدة عشر سنوات فأرسل مندوبا من قبله وهو «سيزاريني» الى ملك المجر، وطلب نقض العهد - مع الكفار المسلمين لأن نقض العهد أو حنث اليمين ليس فيه مخالفة للدين! ولكن الفرقة الصربية أبت نقض العهد[٥٩].

بذل مراد الثاني جهوده لبسط نفوذه شمالا ولكن القوات المجرية تصدت له بقيادة «هونياد» وبُعثت روح صليبية جديدة، ورحب النصارى باعلان البابا الذي سعى للتوفيق بين النمسا والمجر، واحتشدت جيوش صليبية: بولونية- مجرية، انكليزية، ألمانية، تشيكية، فرنسية و غيرها في تحالف مشترك. وفي تموز «١٤٤٣ م» غادر جيش صليبي مدينة «بودابست[٦٠]» واستطاع أن ينتصر على العثمانيين بين «صوفيا[٦١]» «وفيليبه[٦٢]» وطلب

---

(٥٧) - انظر: التاريخ الاسلامي - العهد العثماني -/محمود شاكر/ المكتب الاسلامي بيروت ط ٢، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م (ص ٨١ - ٨٣)

(٥٨) - أوجين الرابع: بابا «١٤٣١ - ١٤٤٧ م»، عقد مجمع فلورنسا لاتحاد الكنائس عام «١٤٣٩ م» (منجد الأعلام ط ١٦ ص ٨١).

(٥٩) - التاريخ الاسلامي (ص ٨١ - ٨٣).

(٦٠) - بودابست: عاصمة هنغاريا«المجر» اليوم يقسمها الدانوب الى:«بودا و بست».

(٦١) - صوفيا: عاصمة بلغاريا اليوم

(٦٢) - فيليبة: مدينة مقدونية (المنجد ص ٤٢٧)

مراد الصلح ـ لسوء الأحوال الطبيعية ولانشغاله بثورة اسكندر بك الألباني المتمرد. وهكذا رجعت القوات الصليبية الى بودابست بعد دخول جيشها الضخم «صربيا» الخاضعة لحكم الدولة العثمانية ـ وعبرت نهر الدانوب في تشرين الأول واحتلت مدينتي «نيش[٦٣]» وصوفيا، وبعض القلاع من الحاميات العثمانية[٦٤].

معركة فارنا

تنادى ملوك النصارى لشن حملة صليبية جديدة، فتجمعوا وهاجموا بلاد البلغار ولما وصل خبر هذا الهجوم للسلطان، اتجه على رأس جيشه لمقابلة الأعداء فوجدهم يحاصرون مدينة «فارنا» البلقانية على البحر الأسود، فقاتلهم، وقتل ملك المجر لاسيلاس في ساحة المعركة ودبت الفوضى بين جنده، ثم هاجم السلطان معسكر الأعداء واحتله وقتل الكاردينال «سيزاريني» ـ مندوب البابا[٦٥]، وعاد جيش المسلمين والتفّ حول السلطان وبدأ الصليبيون يلوذون بالفرار وفي مقدمتهم (هونياد) وانتهت المعركة بنصر جيش المسلمين على الصليبيين في «٢٨ رجب ٨٤٨ هـ = ٤ تشرين الثاني ١٤٤٤ م».

كانت معركة فارنا من أبرز المعارك التي جرت في البلقان في ذلك الوقت[٦٦].

حين اصبحت الدولة العثمانية متاخمة لأمارات الصرب والبلغار والألبان، اهتاج ملوك وأمراء هذه الدول المسيحية، وطلبوا من البابا دعوة النصارى

---

(٦٣) ـ نيش: مدينة يوغسلافية في جمهورية صربيا اليوم، الى الجنوب من بلغراد، آثار بيزنطية، قلعة عثمانية

(٦٤) ـ انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٥٧ ـ ٥٩)

(٦٥) ـ انظر: التاريخ الاسلامي ـ العهد العثماني ـ (ص ٨١ ـ ٨٣)

(٦٦) ـ انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٦٠ ـ ٦١).

ومناداة ملوك أوروبا الغربية لتشكيل حملة صليبية لمحاربة المسلمين واخراجهم من اوروبا خوفا من امتداد فتوحاتهم إلى ما وراء جبال البلقان فيُخشى بعدها على جميع ممالك أوروبا وأماراتها.[٦٧].

بعد محمد الفاتح جاء ابنه «بايزيد الثاني» عام ٨٨٦ هـ = ١٤٨١ م» الذي استمر في الحكم الى أن خلعه الانكشاريون[٦٨].سنة«٩١٨هـ-١٥١٢م» واستلم زمام الحكم ابنه «سليم الأول[٦٩].»، وبقي في نزاع مع أخيه «أحمد» مدة عام كامل، ثم استتب له الأمر وبعد أن تم ألأمر للسلطان سليم، غيّر خطة أسلافه العثمانيين في الفتوح ، اذ كانت وجهتهم أوروبا يجاهدون فيها ويديرون ظهورهم للشرق مطمئنين لأن سكانه من المسلمين، أما السلطان سليم فقد اتجه الى الشرق وحارب الصفويين الشيعة، وقضى على المماليك في موقعة «مرج دابق» في شمال سورية، وفتح مصروسوريا. مات السلطان «سليم » عام ٩٢٧هـ = ١٥٢٠ م وخلفه ابنه السلطان « سليمان الأول[٧٠].»- القانوني - وفي عهده وصلت الدولة العثمانية الى أزهى مجدها وأكبر قوتها واكثر اتساع لها، اذ تمّ له ضم البلاد العربية كلّها، ودقت جيوشه أبواب فيينا عاصمة النمسا[٧١]..

أرسل السلطان «سليمان »رسولا الى ملك المجر يطالبه بدفع الجزية، فقتل الملكُ الرسولَ، وعندما وصل الخبر الى السلطان، هبّ على رأس جيشه لقتال

---

(٦٧) - التاريخ الاسلامي - العهد العثماني (٨١ -٨٣م).

(٦٨) - الانكشاريون: جنود رُبّوا تربية عسكرية صارمة، أُخذوا أطفالا من رعايا البلاد المفتوحة، ولكن السلطان «محمود الثاني» قضى عليهم عندما أصبحوا مشكلة في الدولة العثمانية عام ١٢٤١ هـ = ١٨٢٦م

(٦٩) - سليم الأول: مدة ولايته عشر سنوات ٩١٨ -٩٢٧ هـ = تقريباً

(٧٠) - سليمان الأول: لقبه الأتراك «القانوني» والأفرنج «العظيم» واصل في البلقان فتوحاته...وازدهرت في عهده الآداب و الفنون...

(٧١) - انظر: تركية (ص ٤٣ - ٤٦).

المجر ودخل مدينة بلغراد بعد حصار قصير، وفتح جزيرة «رودس» في «٢ صفر ٩٢٩ هـ = ١٥٢٢ م» مستغلا انشغال أوروبا بخلافاتها كي لاتساعد رهبان الجزيرة الذين يسيطرون عليها وقد انتقل هؤلأ الرهبان الى جزيرة «مالطة[٧٢]».

وفي عام ٩٣١ هـ = ١٥٢٤ م أرسل السلطان جيشاً الى الأفلاق وأخذ أميرها الى استانبول، وقد رغب ملك فرنسا «فرانسوا الأول» بالتحالف مع العثمانيين كي يحاربوا المجر، وأرسل سفيره للخليفة العثماني بهذا الأمر، فوعده الخليفة بذلك ، وفعلا سار في عام ٩٣٢ هـ = ١٥٢٥ م على رأس جيش من مائة ألف مقاتل اضافة الى ثمانمائة سفينة انطلقت في نهر الدانوب[٧٣]، وقد جعل قاعدته «بلغراد» وأحرز النصر المؤزّر[٧٤] وقَتَلَ ملك المجر «لويس» ودخل عاصمتة في «٣ذي الحجة ٩٣٢ هـ ـ ٣١آب ١٥٢٥ م» وعين أمير «ترانسلفانيا[٧٥]».» «جان زابولي» ملكا على المجر ورجع الى استانبول، وفي العام التالي، ادعّى الأمير «فرديناند»أخوملك النمسا «شارلكان» أحقيته بملك المجر، فسار اليها ودخل عاصمتها وهزم ملكها «جان زابولي» الذي استنجد بالخليفة، فأجابه وساربجيشه عام ٩٣٥ ـ

---

(٧٢) ـ مالطة: جزيرة بين ايطاليا وتونس في البحر المتوسط، حكمها المسلمون الأول عاصمتها «فاليتا».

(٧٣) الدانوبdanube: (الطو نة) نهر في جنوب شرق أوروبا، يعتبر أطول الأنهار الأوربية بعد الفولغا يخرج من الغابة السوداء في الجزء الجنوبي الغربي من ألمانيا، ويجري شرقا، وبصورة عامة، عبر النمسا وهنغاريا، ويوغسلافيا ورومانيا ويصب في البحر الأسود، طوله «٢٨٥٠كم ـ م. المورد العربية (١/ ٤٨٥).

(٧٤) ـ انظر: التاريخ الاسلامي (ص ١٠٤ ـ ١٠٦).

(٧٥) ـ ترانسلفانيا: منطقة في رومانيا الوسطى يسكنها نحو ٦ ملايين نسمة عاصمتها «كلوج»، كانت تابعة للنمسا قبل الحرب العالمية الأولى (المنجد في الأعلام ط ١٦ ص ١٧٠).

١٥٢٨ وحاصر «بودا» وفّر منها «فرديناند» متجّها الى «فيينا» فتبعه وحاصر المدينة في ٢٠ صفر ٩٣٧ هـ = ١٥٣٠ م ولكنه لم يستطع اقتحامها، اذ نفذت ذخيرة المدفعية وداهمه الشتاء القارص ففك الحصار وعاد الى استانبول.[٧٦]

الاتفاقيّات مع الدول الأجنبية (الامتيازات):

أراد السلطان سليمان القانوني أن يحطم اتفاق الدول الصليبية عليه ويفكك وحدتهم، فأعطى من اتفق معه امتيازات خاصة وقدم لهم صلاحيات لم تكن موجودة قبلا ولم يحلموا بها أبدا، وكذلك أراد أن يعيد للبحر المتوسط ما فقده من دور في الملاحة والتجارة بعد أن عرف البرتغاليون «رأس الرجاء الصالح» - في جنوب القارة الافريقية - وبدأوا يستولون على بلاد المسلمين في شرقي افريقيا وجنوب شرقي آسيا وأخذوا يهاجمون أطراف الجزيرة العربية ويخضعون موانئها لهم ، فأراد الخليفة أن يعقد اتفاقات مع بعض الدول مثل فرنسا، الأمارات الايطالية: جنوه، البندقية وغيرها وظن السلطان أن هذه الاتفاقات مؤقتة يستطيع أن يلغيها ما دامت القوة بيديه![٧٧]. عقد السلطان سليمان القانوني مع دولة البندقية[٧٨] «عام ٩٢٨ هـ = ١٥٣٥ م» معاهدة تنص على حق قنصلها في الدولة العثمانية بالنظر في تركات النصارى.. كما سمحت الاتفاقية للبندقية بالبقاء في جزيرة «قبرص[٧٩]»..

---

(٧٦) - انظر: التاريخ الاسلامي - العهد العثماني - (ص١٠٩ ومابعدها).

(٧٧) انظر: التاريخ الاسلامي - العهد العثماني - . (ص١٠٩ - ١٢٥)

(٧٨) - البندقية «فينيسيا» مدينة ايطالية سياحية مشهورة بشوارعها المائية، في العصور الوسطى تشكلت دولة بهذا الاسم.

(٧٩) - قبرص : جزيرة في شرق المتوسط تبعد ٦٥ كم عن تركيا و٨٥كم عن سوريا سكانها سبعة ملايين نسمة عاصمتها «نيقوسيا» تتقاسمها: جاليتان تركية ويونانية. فتح المسلمون قبرص عام ٢٨ هـ و ٦٤٨ م وكان من صحابة الرسول «صلى الله عليه وسلم» الذين اشتركو في الحملات البحرية: أبو ذرّ الغفاري وأبو =

مقابل عشرة آلاف «دوكا» كل سنة.

وعقد اتفاقية مع فرنسا عام «٩٤٢ هـ = ١٥٣٥ م»، مؤلفة من ستة عشر بندا، ومن بنودها: يحق لرعايا فرنسا المتاجرة مع العثمانيين ونقل بضائعهم من والى الدولة العثمانية برّا وبحرا، ويحق لقنصل فرنسا في استانبول أو أثينا أن يحكم بمقتضى قانونه في جميع القضايا التي تقع في دائرته بين رعايا فرنسا دون أن يمنعه من ذلك حاكم أوقاض شرعي، كما يحق له الاستعانة بالسلطة العثمانية لتنفيذ ما قضى به ولاتُسمع الدعاوى المدنية التي يقيمها السكان العثمانيون أوجُباة الخراج ضد التجار الفرنسيين أو رعايا ملك فرنسا عامة.

ومن بنود المعاهدة أيضاً:

- إذا خرج فرنسي من الدولة العثمانية وعليه ديون فلا يطالب بها أحد، ولا يسأل القنصل الفرنسي عن ذلك

- واشترط ملك فرنسا أن يكون للبابا ولملك انكلترا.. الحق في الاشتراك بمنافع هذه المعاهدة.

نتائج الاتفاقيات

اصبح لرعايا فرنسا وحلفائها دولة ضمن دولة.. ونسي الخليفة أن هذه الاتفاقيات أصبحت ملزمة لمن بعده، وإذا كان هو قادر على تغييرها وإلغائها، فإن غيره قد لا يكون قادرا على ذلك بل لا يمكنه، وهذا ما حدث واصبحت طوقا في أعناق الخلفاء فيما بعد تقودهم الى الهاوية.

ونسي الخليفة من جهة ثانية أن هذه الدول توافقه ظاهرا على عودة

= الدرداء وغيرهما، للمعرفة أكثر عن قبرص انظر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية(ص٦١-١٠٦)

الملاحة الى المتوسط، وكانت عواطفها مع البرتغاليين والاسبان ـ اخوتها في العقيدة ... وبدأت الدول الأجنبية تتدخل عن طريق رعاياها من النصارى في شؤون الدولة العثمانية، كما أصبح هؤلاً الرعايا لايهتمون بالدولة أبدا، ويتصرفون كما يريدون فأصبحوا مصدر إزعاج وضعف للدولة، فكانوا يحرصون على التمرد ويؤسسون الجمعيات ـ وان كان ظاهرها أدبيا أو علميا ..

كان كل ذلك من دواعي التقهقر والضعف الذي أصاب جسم الدولة العليّة، فالترف وزواج السلاطين من أجنبيات، وسعة رقعة الدولة ـ رغم ما بذلته الدولة من اصلاحات وتجديد في الجيش والأسطول ـ لم يمنع الحقد الصليبي أن ينخر في جسم الدولة باثارة النزاعات والاضطرابات، وقد طالت هذه المرحلة إذزادت على ثلاثة قرون ونصف «٩٧٤ ـ ١٣٢٧ هـ = ١٥٦٧ ـ ١٩٠٩ م»..[٨٠]

اسكندر بك الالباني

(٨٠) ـ انظر: التاريخ الاسلامي ـ العهد العثماني ـ (ص ٨٣ ـ ٨٥).

السلطان سليمان القانوني

مسجد فيينا والمركز الإسلامي (١٤٠٠هـ)

أقدم
مسجد بناه الأتراك المسلمون في
صوفيا ، ومايزال قائما حتى اليوم

مسجد الغازي قاسم (مدينة بينش المجرية)

انتشار الاسلام في أوروبا

سلك الاسلام في انتشاره عبر أوروبا عدة معابر، منها المعابر الجنوبية، وهي أقدم مسالك الاسلام نحو أوروبا، ومنها المعابر الشرقية...

فكانت مسلك الاسلام الى القارة من الجنوب والشرق، ثم خرجت أوروبا عن تقوقعها لتخوض معارك شرسة ضد المسلمين، واستمرت عدة قرون على ذلك في محاولات مستميتة لتضييق الخناق على الدعوة الاسلامية، وبرغم عنف التحدي وطول أمد الصراع، فقد أصبح عدد الأقليات المسلمة في أوروبا - اليوم - حوالي ستة وعشرين مليونا من المسلمين... وهؤلأ مركز اشعاع يجب أن يظل مضيئا.. فهو حصيلة عدة قرون..[٨١] ...

وبعد أن سقطت القسطنطينية عام «٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م» اتجه انتشار الاسلام نحو شبه جزيرة البلقان ووسط أوروبا، وكانت مسالك الاسلام نحو شرقي القارة الأوربية في معبرين:

آ - المعبر الشمالي الشرقي لأوروبا:

ولقد سلكه الاسلام أوّل الامر عن طريق التجّار والتجارة، فأسلم البلغار في حوض الفولغا وشمال البحر الأسود وغربه في نهاية القرن التاسع

---

(٨١) - انظر: مسلمون لا تغرب عنهم الشمس/ حامد سليمان، المكتب العربي للمعارف مصر- القاهرة ١٩٩٠ / (ص٨٣ - ٨٥).

الميلادي و أوئل القرن العاشر (الثالث والرابع الهجري)، ولكن الدفعة الأساسية لنشر الدين (الحنيف) جاءت عن طريق التتار بإسلام القبيلة الذهبية[٨٢] بزعامة «أوزبك خان» وكان مُلكه يمتد من شمال بحر أورال إلى مصبّ نهر الفولغا في بحر قزوين.

ب ـ المعبر الجنوبي الشرقي:

سلكه الإسلام من شرقي القارة الأوربية الى غربي البحر الأسود و شبه جزيرة البلقان ووسط أوروبا، وكانت دعامة هذا العبور آسيا الصغرى، وجُنْدُ الاسلام ـ هنا ـ من الأتراك العثمانيين.. وكانت الدولة.. البيزنطية عائقا في سبيل (نشر) الاسلام .. فخاض الاسلام معها صراعاً مريراً.. وعندما اسلم الاتراك العثمانيون.. أزاحوا البيزنطيين عن آسيا الصغرى وفتحوا معظم بلاد البلقان.[٨٣]

(لقد خفقت راية الاسلام في سماء أوروبا بعد فتح القسطنطينية، فاهتزّ الغرب أجمعه،وقامت قيامة رجال الكنيسة، وظهر الحقد الصليبي واضحاً، فاضحاً مكنونات صدورهم، وأوغروا صدور رعاياهم بالحقد الذي حملوه بعد زوال الحكم الصليبي من سواحل بلاد الشام، فكان الفتح الجديد وسقوط عاصمة النصرانيّة الأرثوذكسيّة، دافعا لإشعال نار العصبية ضد الإسلام والمسلمين، مع الذعر الذي سيطر عليهم بدخول الإسلام شبه جزيرة البلقان.

اعتبر الغرب أن دخول الاسلام لأوروبا تهديدٌ للممالك النصرانية والقضاء

---

(٨٢) ـ القبيلة الذهبيّة «الاورطة الذهبية» مملكة مغولية اسسّها «باتوخان» حفيد جنكيز خان على نهر الفولغا بـ (روسيا) عام ١٢٤٢ م (٦٤٠هـ)، شملت سيبيريا وجنوبي روسيا و حوض الفولغا،وعاصمتها «صراى» انقرضت عام ١٥٠٢ م = (٩٠٨ هـ) ـ المنجد في الأعلام ط ١٦ ص ٣٨ ـ

(٨٣) ـ انظر: مسلمون لا تغرب عنهم الشمس (ص ٨٣ ـ ٨٥)

على الإقطاعية - التي يُستَعْبَدُ فيها الفلاّحون والعامّة - وكذلك إنهاء دور الكنيسة الإقطاعي، كلّ هذا اعتُبِرَ من العوامل القويّة في استماتة النصرانيّة لوقف المدّ الاسلامي المبارك.

ان المبادىء الاسلامية القائمة على المساواة بين الحاكم والمحكوم وانصاف الرجل والمرأة، لم تصل الى أفكار وعقول جماهير أوروبا كما هي، بل إن ملوكها وأمراءها حرّضوا شعوبهم ضد المسلمين الفاتحين باعطائهم صورة مشوّهة مخيفة عن الاسلام والحكم الاسلامي وبأن هؤلأ المسلمين كفّار يجب القضاء عليهم قبل أن يقضوا على المقدسات النصرانية، وأن الدين الاسلامي كوحش مفترس يريد ابتلاعهم، فأعلنوها حربا مقدسة ضد الدولة العثمانية - بل ضد كل مسلم - !

(ومع كلّ التعصب الأعمى والاستعداد لمواجهة ما اعتبروه خطرا ما حقا، استطاع الجيش العثماني أن يدكّ حصون النصرانيّة، حصناً إثر حصن، ورفع راية الاسلام عالية خفاقة في جميع أرجاء شبه جزيرة البلقان، بل تجاوزها ودقّ أبواب «فيينّا» عاصمة امبراطورية النّمسا كما احتلّ جزءا من أرض المجر التي دخلها الاسلام وبقي الى يومنا هذا - وإن أعداد المسلمين فيها قليلة وغير واضحة الوجود بسبب الحكم الشيوعي - سابقا - الذي كان يقمع أيّ اتجاه ديني وخاصّة - الاسلامي -، لقد حكم العثمانيون البلقان حوالي خمسة قرون امتدت منذ فتح القسطنطينيّة حتى عام «١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م» أى حتى الحرب العالمية الاولى في القرن العشرين الحالي - وإن كانت الدولة العثمانية قد تراجعت وتركت بعض أجزاء البلقان في أزمنة متفاوتة - لا بدّ أن نعترف بان للعثمانيين دور كبير في نشر الاسلام في ربوع أوربّا.)

انتشار الاسلام في البلقان

ان التغيرات الأتنية والدينية التي عرفتها منطقة شبه جزيرة البلقان بعد خضوعها للعثمانيين، كانت احدى نتائج هذا الوضع الجديد الى جانب عوامل

سياسية واجتماعية واقتصادية، فخلال المرحلة العثمانية، حدثت تبديلات في مناحي حياة الشعوب الخاضعة وعلى جميع الصعد، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وحتى في نمط حياتها ومعيشتها، وهنا نتساءل: هل تيسّر لشعوب البلقان أن تطلع على مبادىء الدين الاسلامي قبل السيطرة العثمانية؟ وبالتالي، هل اقتصر انتشار الاسلام في تلك المنطقة على العثمانيين وحدهم؟.

للاجابة على هذا التساؤل، يجدر بنا أن نعود الى أيام الخليفة العباسي «المقتدر بالله[٨٤]».

..فقد ذكر «ابن فضلان»[٨٥] أن ملك الصقالبة[٨٦] «المش بن يلطوار» طلب الى أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل اليه بعثة من قبله، تفقّهه في الدين وتعرّفه شرائع الاسلام، وتبني له مسجدا، وتنصب له منبرا يقيم عليه الدعوة

---

(٨٤) المقتدر بالله: هو الفضل جعفر بن المعتضد، تولى الخلافة سنة ٢٩٥هـ - ٩٠٨م وقتل سنة ٣٢٠هـ - ٩٣٢م.
انظر: مجلة «تاريخ العرب والعالم، تصدر كل شهرين عن دار النشر العربية والتوثيق والابحاث/ بيروت، العدد ١٤١ كانون الثاني وشباط ١٩٩٣م (ص٤٢).

(٨٥) ابن فضلان: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حمّاد، مؤرخ، أوفده الخليفة المقتدر مع البعثة التي أوفدها الى ملك الصقالبه، له رسالة عن رحلته - هذه - نقل عنها الاصطخري والمسعودي وياقوت الحموي (صاحب معجم البلدان).

(٨٦) الصقالبة: ج: صقلبي slaves مجموعة من الشعوب المنتشرة في أوروبا الشرقية والوسطى .. الشرقيون منهم في روسيا وأوكرانيا، والغربيون في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا، والجنوبيون: في بلغاريا ويوغسلافيا (المنجدفي الاعلام، ط١٦ ص٣٤٦)، وفي القاموس المحيط للفيروز آبادى (ج١ ص٩٦)،: والصقالبة جيل بلادهم تتاخم بلاد الخزر، بين بلغر والقسطنطينية.
انظر: القاموس المحيط/ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى/ المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان (بدون تاريخ) وفي مراصد الاطلاع،.. الصقالبة: جيل حُمْر الألوان، صُهب الشعور، يتاخمون بلاد الخزر، في أعالي جبال الروم (٢/ ٨٤٧).

للخليفة في جميع مملكته وسأله أن يبني له حصنا يتحصن به من الملوك المخالفين له (وانّهم ملوك الخزر وهم من اليهود)[٨٧].

..وفعلا انطلقت البعثة من بغداد في ١١صفر سنة ٣٠٩هـ الموافق ٢١حزيران عام ٩٢١م والتقت ملك الصقالبة، (يقول ابن فضلان): فلما كنا مع ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة وجّه لاستقبالنا، الملوك الأربعة الذين تحت يده، واخوته وأولاده، فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاوَرس(القمح) وساروا معنا.

فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا هو بنفسه، فلما رآنا نزل فخرّ ساجدا شكرا لله جلّ وعزّ، وكان في كمّه دراهم فنثرها علينا، ونصب لنا قبابا فنزلناها.

وكان وصولنا يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة عشرة وثلاثمائة (١٢ محرم ٣١٠هـ الموافق ١٢ أيار ٩٢٢م)

وكان يخطب له على منبره قبل قدومي «اللهمّ أصلح الملك **يلطوار ملك** البلغار». وبعد أن سمى نفسه باسم الخليفة «جعفرا»صار يخطب له «**اللهم** وأصلح عبدك جعفر بن عبد الله أمير البلغار مولى أمير المؤمنين».[٨٨]

ومن يتابع رسالة ابن فضلان يثبت لديه ان اعتناق الناس في حوض الفولغا ـ أرض الصقالبة ـ للدين الاسلامي الحنيف كان ينتشر بسرعة باقبالهم عليه،وعليه فان البلغار الذين نزلوا بلغاريا الحالية قد اعتنقوا الاسلام قبل سيطرة العثمانيين على بلادهم، بالرغم من أن أكثرية الدراسات هناك ـ تحاول أن تربط انتشار الدين الاسلامي في بلادهم بالدخول العثماني اليها.

---

(٨٧) انظر: رسالةابن فضلان/ حققها د. سامي الدهان (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) ط٢/ مديرية احياء التراث العربي، دمشق ١٩٧٧م(ص٣١).

(٨٨) انظر: رسالة ابن فضلان ـ المذكورة آنفا ـ (ص١٤٣ ، ١٤٧).

ولكن مما يؤكد عدم صحة فرضيتهم، ان العديد من المسلمين في بعض مناطق بلغاريا، لايعرفون اللغة التركية اطلاقا، ويطلق عليهم اسم (بوماك - بوماتسي) (bomatsi).

.. فالاحتلال العثماني العسكري لشبه جزيرة البلقان كان متبوعا بضرورات تثبيت الوضع السياسي للمقاطعات الجديدة، وتوحيد الأراضي والشعوب الخاضعة وذلك من أجل اعادة واحياء النشاطات الاقتصادية .. في مرحلة الفتوحات الأولى، قام نظام .. يهدف لربط رجال الدين المحاربين - الذين رافقوا الجيش العثماني - بالتوطين ونشر الدعوة الاسلامية .. وقد كان لهؤلاء الدراويش أهمية لابأس بها لانتشار الاسلام في منطقة «الروملي» فقد استوعبوا الطقوس المسيحية وتقاليدها وهذا ساعد في تكيّف المسلمين مع المؤمنين المحليين، وسهّل انتقالهم الى الديانة الاسلامية.

.. وهناك عامل يعتبره بعض المؤرخين البلقانيين أساسياً في نشر الاسلام بدون الضغط المباشر .. هو النظام الضريبي العثماني .. فقد كانت الرعية في المُلك والأوقاف تستفيد من تخفيف معيّن للضرائب وامتيازات بأن يكون استثمارهم معقولا .. وهناك حالات يتم بها إعفاء الأرامل والنساء غير المتزوجات حتى من الجزية .. ان ماذكر(وغيره) أدى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الى انتشار الدين الاسلامي في الولايات البلقانية التابعة للأمبراطورية العثمانية..[٨٩]

أول من بدأ بنشر الاسلام في البلقان:

(بدأ العثمانيون محاولاتهم دخول البوسنة في عهد «ستيفان الثاني styepan-II» وقد وصلوا الى مدينة «بيليتسا BILECA» في آب ١٣٨٨ م (شعبان ٧٩٠هـ)، الأأن الجيش البوسني صدهم وهزمهم.

(٨٩) انظر: تاريخ العرب والعالم العدد ١٤١ (ص٤٢ - ٥١).

يظن البعض بأن ظهور الاسلام في شبه جزيرة البلقان كان على يد العثمانين، ولكن الحقيقة أن الاسلام قد ظهر في هذه المنطقة قبل العثمانيين بزمن طويل، ظهر ابّان الفتح العربي، وعلى يد بعض القبائل التركمانية الاسلامية التي وصلت الى البلقان والمناطق المجاورة.

ظهر الاسلام في البلقان عند وصول العرب لمدينة «القسطنطينية» (استانبول) في الفترة من آب ٧١٧ ـ ٧١٨م (٩٩ ـ ١٠٠هـ) بقيادة القائد «مسلمة بن عبد الملك»، وفي الوقت نفسه فتح مدينة «غالاتا» وبنى فيها أول مسجد (مسجد العرب) وقد حُوّل هذا المسجد إلى كنيسة عندما تراجع العرب، ثم حُوّل إلى مسجد ثانية عندما دخل العثمانيون المدينة، وقد وصل الجيش العربي بقيادة مسلمة الى مدينة «ادرنة EDIRNE» و«سولون SOLUN»، وهي أولى حملات المسلمين الى شبه جزيرة البلقان،

ويُروى أن أول سكان مسلمين بالبلقان كانوا «مسلمين ورداريين[٩٠]»، وقد هاجروا من آسيا بأمر ملك بيزنطي «تيوفيل TEOFIL»، ٨٢٩ ـ ٨٤٢م (٢١٤ ـ ٢٢٧هـ)واستقروا في منطقة «سولون» (اليونان حاليا)

وفي سنة ١٢٦١م (٦٥٩هـ)ظهرت شخصية سلافيه هامة، كان لها دور كبير في نشر الاسلام بين البلقانيين وهي «ساري ساتلوك SARI SATLUK»، فقد استقر مع حوالي (٤٠) قبيلة تركمانية في «دوربرودا DORBRUDA»، وقد كان يعمل في خدمة أحد ملوك التتار «نوغاي NOGAY» الذي سيطر على مناطق كثيرة في شمال البحر الأسود)[٩١]

---

(٩٠) ورداريين: نسبة الى نهر «فاردار» ويمر بمقدونيا واليونان.
(٩١) انظر: الأندلس الثانية(ص١٨ ـ ٢٠).

العثمانيّون ومفهومهم لـلإسلام

الدولة العثمانيّة: دولة اسلامية المنطق، والرّاية، والهدف.

ورث العثمانيّون، السّلاجقة المسلمين، في الأناضول، وقامت دولتهم على مفهوم الجهاد ورفع راية الاسلام والدفاع عنها في كلّ مكان، وذلك امتداداً لمفهوم الاسلام نفسه واعتمادا على هذا المفهوم في توسيع عالم الاسلام وتدعيم أركانه، قامت القوة الاسلامية العثمانيّة لتحقيق ذلك في ميادين عدّة:

١ـ القضاء على الدولة البيزنطيّة التي كانت حائلا لتوسّع الاسلام في أوربّا عن طريق القسطنطينيّة ستمائة عام

٢ـ التّوسع في أوربّا وقد استطاع العثمانيون ـ بعد فتح القسطنطينية ـ، فتح ماسُمي رومانيا وبلغاريا، وألبانيا، ويوغسلافيا، وبلاد المجر، ومحاصرة فيينّا أكثر من مرة.

٣ـ اقامة وحدة اسلامية ضمت العالم العربي كلّه.. إضافة لبلاد الأناضول ـ حيث قامت الدولة العثمانية العلية ـ ولم يتخلّف عن هذه الوحدة من البلاد الاسلامية سوى دولتين هما: دولة الصفويين في فارس [٩٢]، ودولة المغول في الهند[٩٣]

---

(٩٢) ـ الصفويون: سلالة ملكت في فارس «ايران» ٩٠٦ ـ ١١٤٩ هـ = ١٥٠١ ـ ١٧٣٦ م كانت طريقة صوفية.. تنتسب الى صفي الدين الأربيلي وكانت عاصمتها تبريز والشيعة مذهب الدولة، هزمهم العثمانيون عام ٩٢٠ هـ.. ثم انقرضت السلالة (انظر: المنجد في الاعلام ط ١٦ ص ٣٤٦).

(٩٣) ـ المغول: اسم دولتين: ١ـ في آسيا أسسها جنكيز خان ٢ـ في الهند.. اسسها أحد أحفاد تيمور لنك، حكمها «١٩» أمبراطورا.. آخرهم عزله الانكليز ١٢٥٧ هـ = ١٨٥٨ م. انظر المصدر السابق (ص ٥٤٠).

لقد رحّب العرب بهذه الوحدة، فأصبحوا هدفا للحملات الصليبية، ولقد وجد المسلمون في العثمانيين دفعاً جديداً للإسلام وقوة شابّة، بدويّة، مقاتلة، رفعت راية الاسلام عالية خفاقة في سماء أوروبا، وأعادت ذكرى الأبطال الفاتحين الأوائل.

ظلّت مفاهيم القرآن الكريم والسنة الشريفة، هما أساس التشريع الاسلامي في الدولة العثمانية كما حرصت الدولة - في هذه الفترة - على رعاية الأديان الأخرى على النحو الذي رسمه مفهوم الاسلام، وقامت العلاقة بين الدولة ورعاياها - من غير المسلمين - على تسامح كامل - قلّ نظيره - حتى أن هذا التسامح الواسع كان أحد أسباب ضعف الدولة العثمانيّة،ويقول «دجوفارا[٩٤]».: «ان من أعظم أسباب انحلال الدولة العثمانية، هو مشربها

---

(٩٤) - دجوفارا: من أفاضل وزراء رومانيا له كتاب بعنوان «مائة مشروع لتقسيم تركيّا». قال دجوفارا)في وصفه لماهيّة كتابه وأسباب وضع مشاريع للقضاء على الدولة العثمانية(: «إن أصل العداوة المزمنة التي يشعر بها الأوربيون للأتراك، ويميلون أبدا من أجلها الى حصرهم في آسيا، راجعة الى العداء الشديد الواقع بين النصرانية والاسلام» ثم قال دجوفارا: «ان المسلمين كانوا قد أرعبوا أوروبا وخضعت لهم اسبانيا - مع عظمتها -»..
(ويذكر المؤلف مشاريع تقسيم تركيا واحداً واحداً، وأسماء واضعيها ومنها يقول:«.. والمشروعان الخامس والتسعون والسادس والتسعون هما: معاهدتا باريز وبرلين، الأولى سنة ١٨٥٦م / (١٢٧٢هـ) والثانية سنة ١٨٧٨ م (١٢٩٥هـ)».
وقال ايضاً مايلي: «مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانية، وكان الوزراء ورجال السياسة، وأصحاب الأقلام (والباباوات ورجال الكنيسة) يهيؤون برامج تقسيم هذه السلطنة..ويعزو دجوفارا سقوط الدولة العثمانية الى أسباب كثيرة منها: سعة الامبراطورية، واختلاف أديان رعاياها، وأنها كانت دولة عسكرية مستندة على شرع سماوي: «ولم يكن القرآن مانعاً، لامن العلوم، ولا من المعارف، ولا من الصناعات.. ولولا التسامح الديني العظيم عند الأتراك، لكان سكن المسلمين مع المسيحيين متعذّرا. ولكن الدولة العثمانية =

في اعطاء الحرية المذهبية والمدرسية.. للأمم المسيحية التي كانت خاضعة لها، لأن هذه الأمم بواسطة هاتين الحريتين كانت تبثّ دعايتها القومية، وتتماسك وتسير في طريق الإنفصال عن السلطة العثمانية».

(ومع كلّ ما اعتبره البعض سلبياً في تاريخ الدولة العثمانية، فان الجوانب الايجابية المضيئة في عهدها، أكثر من أن تحصى، لأن التزام العثمانيين بالاسلام (كان) التزاماً صارماً بكل ما أوجبه القرآن، واسترشادها بآراء علماء المسلمين.. سواء في السلم أو في الحرب)[٩٥].

الاسلام والغرب

حاول الغرب في زحفه الاستعماري على عالم الاسلام أن يحقق هدفا

= أعطت المسيحين حريتّهم الدينية التامة وخوّلتهم أيضاً الحرية المدرسية ومما يجب أن نعترف به، أن هذه الحرية الدينية التي منحتها الدولة العثمانية لرعاياها من المسيحيين حريّة التعليم التي كفلت نموهم وترقّيهم،وجعلتهم يسيرون في طريق الاستقلال المطلق.. وقد قال المؤرخان «لافيس ورامبو وهما - مؤرخان فرنسيان كتبهما تُدرّس في مدارس الحكومة الفرنسية - :

«إن محمداً فاتح القسطنطينية كان كأكثر سلاطين الترك (العثمانيين) والمغول، بعيداً عن كل اضطهاديني. وكانت حكومة الأتراك (العثمانيين) لاتعارض أحداً في دينه..» ثم نقل هذان المؤرخان من القرآن الكريم هاتين الآيتين الكريمتين: «وقاتِلوا في سَبيلِ اللهِ الذينَ يُقاتِلونَكُمْ ولا تعتدَوا إنَّ اللهَ لا يُحبُ المُعْتدينَ» (البقرة الآية ١٩٠) ثم «لاإكراهَ في الدينِ قدْ تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ» (البقرة الآية ٢٥٦).

إلا أن العداوة الدينية للإسلام لم تكنْ لتُنْسى.

للتوسع في هذا الموضوع انظر: كتاب «حاضر العالم الاسلامي/ لوثروب ستودار الامريكي، تعريب: عجاج نويهض، تعليق: شكيب أرسلان، ط ٣ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر القاهرة، ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣م، جـ٣ (ص ٢٠٨ - ٣٤٢)

(٩٥) - انظر: الاسلام وحركة التاريخ/ أنور الجندي/ دار الكتاب اللبناني، بيروت ودار الكتاب المصرى، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م(ص٣٠٣-٣٠٦).

أساسيا عاش في أعماق النفس الغربية أكثر من ثمانمائة عام .. ولم يستطع في حروبه الصليبية.. أن يحقق هدفه في السيطرة على بلاد الإسلام... ولم تلبث موجة المدّ الاسلامي أن تعالت، فاقتحم العثمانيون قارة أوروبا ووصلوا الى أسوار فيينا مرتين وسيطروا على البلقان أربعة قرون كاملة، كانت أبعد أثرا واعمق تأثيرا في النفس الغربية ومن هنا فقد كان الهدف الأكبر للنفوذ الغربي هو: قطع الجذور الأساسية لهذه القوة التي سيطرت على أوروبا من ناحية آسيا الصغرى أربعة قرون... وفي نظر الغرب لم يكن الاستعمار العسكري والسياسي كافياً.. (بل مباشرة حرب الكلمة) وهي التي أطلقها «لويس التاسع[٩٦].» في وصيته، والتي استهدفت التركيز على.. تزييف مفهوم الجهاد في الاسلام، وفصل الدين عن الدولة، والقضاء على النظام الاسلامي القائم على تطبيق الشريعة الاسلامية، واثارة الشبهات حول العقيدة والقرآن والتاريخ واللغة، وسيرة الرسول الكريم.

..يقول «الفريد كانتول سميث[٩٧].» انّ الغرب كان ولايزال يخاف القوة المعنوية الكامنة في عالم الاسلام الذي تجمعه وحدة التوحيد الخالص، يخاف

---

(٩٦) - لويس التاسع: ملك فرنسا قاد الحملة الصليبية السابعة،وصل إلى دمياط في عام ١٢٤٩ م = ٦٤٨ هـ وهُزِمَ وأُسِرَ في معركة المنصورة ١٢٥٠ = ٦٤٨هـ ووُضِعَ في دار ابن لقمان، وفيها راجع أبعاد تلك المحاولة التي قامت بها الكنيسة الغربية على عالم الاسلام في دياره، وكتب في مذكراته هذه التوصية الخطيرة التي طالب فيها بأن تتوقف الحروب العسكرية على عالم الاسلام- لأنها لم تستطع أن تحقق شيئا وأن تبدأ (حرب الكلمة)، بتحويل المسلمين عن مفهومهم الأصيل. قال: «إن نتائج الحروب الصليبية بعد أكثر من قرن ونصف تؤكد أن المسلمين لا يمكن هزيمتهم عن طريق الحرب والقتال، فان دينهم قدّم لهم منهجاً خطيراً في هذا الشأن هو «الجهادفي سبيل الله والموت في سبيل حماية الدين.. إن أوروبا إذا أرادت مقاومة الإسلام والقضاء عليه، فإنما يكون ذلك عن طريق الكلمة».

(٩٧) - الفريد كانتول سميث: من مؤرخي الغرب. مؤلف كتاب «الاسلام في التاريخ الحديث ISLAM IN MODERN HISTORY

هذه القوة ويخشاها ويعمل منذ سنوات بعيدة على سحقها وتمزيقها وبعث الخلاف والفرقة والصراع والخصومة والتناحر بين أجزائها.

...كان شعور.. الحقد والتعصب واضحاً في الغرب إزاء كل ماهو.. إسلامي ..تجمّع الغرب كله لإخراج المسلمين من أوروبا: الفاتيكان و ايطاليا والفرنجة والجرمان.. وغيرهم. كل القوى تضافرت من ناحية الأندلس ثم تضافرت من ناحية البلقان. لقد حرص الغرب بمختلف الوسائل .. تحطيم القوة التي مكّنت (المسلمين من الحياة والمقاومة خلال أربعة عشر قرنا).[٩٨]

احدى قطع الأسطول العثماني راسية في خليج القرن الذهبي

(٩٨) أنظر: المدّ الاسلامي في مطالع القرن الخامس عشر الهجري/ أنور الجندي/، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع-تونس ط٢-١٩٨٤م (ص٣٠٨-٣٠٩) و(١١) و(ص٢٤١-٢٤٢). للتوسع في وصية لويس التاسع.